عمرو بن لُحي ودوره في تغيير ملة إبراهيم الحنيفية عليه السلام

دراسة عقدية

د. عطا الله بخيت حماد المعايطة *

تاريخ وصول البحث: 14/3/2009م   تاريخ قبول البحث: 26/9/2010م

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على شخصية عمرو بن لحي الخزاعي ودوره في تغيير الملة الإبراهيمية، حيث بينت فيه نسبه، وكيف سيطر على مكة المكرمة وبدأ بتغيير الملة الحنيفية عن طريق نشر عبادة الأوثان، بجلبه للصنم هبل، وتوزيع الأصنام على قبائل العرب، ثم بينت فيه الانحرافات العقدية والتشريعية التي أسسها في مجتمع مكة والجزيرة العربية، حيث تأصلت هذه الانحرافات حتى بعث النبي ﷺ، وعرضت إشارة النبي ﷺ لهذه الشخصية وأثرها، وعرض القرآن الكريم لهذه الانحرافات وإبطالها.

Abstract

This research sheds some light on the personality and character of Amr ibn Luhayy al-Khuza'I and his roles and effect on the alteration of the Abrahamic faith (Semitic religion). In this research I have discussed his lineage, how he controlled Mecca, and how he changed his people's faith from the Arahamic to the paganism when he brought the Idol called Hubal and the other idols which he distributed on the other tribes. I have also discussed the creedic and religious deviations which he established in Mecca and Arabia. These deviations became common until the sending of the Prophet Muhammad. Finally, I have highlighted the Prophet's mention of the personality and the Qur'anic refutations of the creedic deviations

1- سيل العرم.
2- ذكر بعض الملوك الـذين عاصـروا سـيل العرم
3- رحلته إلى بلاد الشام
4- اسـتعادة قصـي بن كلاب السـيادة على مكة المكرمة
5- ولتقريب الفترة الزمنية لعصر عمرو بن لحي نسوق نسب أحد أحفاده

المطلب الثـالث: سـيطرة عمــرو بن لحي على مكة

المطلب الرابع: سياسة عمرو بن لحي في حكم مكة وبداية التغيير الذي أحدثه.

المطلب الخـامس: هـل كـانت الأصـنام موجـودة بمكـة قبـل عمـرو بن لحي؟ وقــد اشتمل على مسألتين:
الأولى: تعلق أهل مكة بالبيت الحـرام وحمـل حجارته معهم
الثانية: ما ذكر عن وجود صنمي إساف ونائلـة قبل عمرو أبن لحي.

المطلب السادس: كيـف نشـر عمـرو بن لحي عبادة الأصنام ويشمل مسألتين:
الأولى: سـفره إلى الشـام وجلبـه للصـنم هبل
الثانية: توجيه رَئِيِّه من الجـان لنشـر عبـادة الأصنام بين العرب

المطلب الســابع: الكلام على الــرَّئيِّ والكهانة وأثرهما في ذلك العصر

المطلب الثامن: لماذا تعـددت الأصـنام ومسمياتها في قبائل العرب؟

المطلب التاسع: الجـانب العقـدي في عبادة الأصنام ويشمل ست مسائل:
1- هل قاوم أهـل مكـة عمـرو بن لحي في دعوته لنشر الأصنام وتغيير الملة؟
2- اتخاذها آلهة من دون الله
3- نصبها حول الكعبـة ومـا جـاور مكـة من حواضر الجزيرة وقراها
4- تعبيد الأسماء إليها
5- عمل القداح والاستقسام بالأزلام عندها
6- التبرك بها وعندها

المطلب العاشر: الجــانب التشــريعي الذي أحدثه عمرو بن لحي في تغيـير الملـة الحنيفية

1- إشـارة القـرآن الكـريم إلى التشـريعات الجاهليـة في الأديـان السـابقة ومشـركي العرب
2- التحريم والتحليل في صـور متعـددة في الأنعام والأموال والزروع والعبيد:
أ- البحـــيرة ب- الســـائبة: ج- الوَصـــيلَةُ د- الحامي
3- إبطال القرآن الكريم لشرائع عمــرو بن لحي السابقة على الخصوص
4- قتل الأولاد ووأد البنات
5- النسيء
6- اعتبار الطواف حولها من تمـام مناسـك الحج
7- الذبح عندها والإهداء إليها

الخاتمة وأهم نتـائج البحث، ملحــق للتعريـف ببعض القبائـل والبلـدان الـواردة في البحث.

المطلب الأول
التعريف بعمرو بن لحي

خزاعة:- اختلف العلماء في تحديد نسب خزاعة، ونريد تحقيق هذا الأمر أولا قبل الخوض في التعريف بعمرو بن لحي، حيث يجدر بنا التعريف بخزاعة التي ينتمي إليها عمرو:
"فالخزوع: "تخلف الرجل عن أصحابه في مسيرهم، وسميت خزاعة بذلك لأنهم ساروا في قومهم من سبأ أيام سيل العرم، فلما انتهوا إلى مكة تخزعوا عنهم فأقاموا وسار الآخرون إلى الشام" [(1)].

وهناك اختلاف في النسب فمن المؤرخين من ينسبهم "إلى حارثة بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن ماء السماء وإليه إجماع خزاعة كلها وهو أبوهم"[(2)].

ومنهم من ينسبهم إلى عمرو بن لحي، قال ابن الكلبي:"وسموا خزاعة؛ لأن بني مازن من الأزد لما تفرقوا من اليمن في البلاد نزل بنو مازن على ماء زبيد وأقبل بنو عمرو بن لحي فانخزعوا عن قومهم فنزلوا مكة"[(3)].

وقد نص ﷺ وهو الصادق المصـدوق على نسـب خزاعـة فقـال:"عمـرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة"[(4)].

وقال الكلاعي:"وخزاعة يقال إنهم من ولد قمعة ابن إلياس بن مضر، وإن أباهم عمرو بن لحي، وهو عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، وخزاعة يأبون هذا النسب ويقولون إنهم من ولد كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن غبشان، وقد روي أن النبي قال: "أريت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فقيل له ومن عمرو بن لحي قال: أبو هؤلاء الحي من خزاعة, وهو أول من غير الحنيفية دين إبراهيم، وأول من نصب الأوثان حول الكعبة".

فإن كان رسول الله قال هذا فرسول الله أعلم، وما قال فهو الحق، وعمرو بن ربيعة الذي تنتسب إليه خزاعة يقال له عمرو بن لحي، وإن حارثة بن ثعلبة بن عمرو خلف على ام لحي، ولحي هو ربيعة بعد أنْ تأيمت من قمعه، ولحي صغير فتبناه حارثة وانتسب إليه، فيكون النسب على هذا صحيحا بالوجهين: إلى قمعة بالولادة وفق ما روي أن رسول الله قاله, والى حارثة بن ثعلبة بالتبني والانتساب به وهو موجود كثيرا في العرب"(5).

ويبدو لنا أن خزاعة في الإسلام كانوا ينكرون هذا النسب كراهية لشنيع ما أحدثه عمرو بن لحي من تغيير ملة إبراهيم, وجلب عبادة الأصنام إلى معقل التوحيد مكة المكرمة, ثم إن خزاعة أيضا كانوا في الإسلام مكان ثقة النبي , وكانوا عيبة نصح له كما روى البخاري في حديث صلح الحديبية: "فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة" مكان سره الصادقين في مشورته" نصح رسول الله (6) " فلعل بعضهم كان يخشى هذه النسبة كما سيبرز لنا فيما يأتي من كلام أكثم بن الجون مع النبي .

وبهذا يظهر لنا أن عمرو بن لحي هو أبو خزاعة للقول الفصل الوارد عن النبي ولأنه أشهر رجال خزاعة الذين حكموا مكة المكرمة, وبدَل دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وشرائعهما.

المطلب الثاني
محاولة تقريب العصر الذي عاش فيه عمرو بن لحي

لم يجزم الباحثون بالزمن الصحيح الذي عاشه عمرو بن لحي أو العصر الذي سيطر فيه على مكة ملكا عليها، ثم إحداث هذا التغيير الكبير في عقائد العرب وسن التشريعات الباطلة وتغيير دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولكن يمكننا الإشارة إلى بعض الأحداث التي من خلالها نستطيع تقريب ذلك الزمن لا الجزم به ومن هذه الأمور:

1- سيل العرم: فقد أجمعت المصادر القديمة على خروج معظم القبائل المحيطة بالسد والسير إلى الشام والحجاز وأنحاء أخرى من اليمن بعد حدوث هذا السيل الذي يقصد به انهيار سد مأرب.

قال القزويني:"فتفرقوا في البلاد ويضرب بهم المثل فيقال: تفرقوا أيادي سبأ وكانوا عشرة أبطن: سته تيامنوا وهم كنده والأشعريون والأزد ومذحج وأنمار وحمير، وأربعة تشأموا(ذهبوا إلى الشام) وهم عامرة وجذام ولخم وغسان، وكانت هذه الواقعة بين مبعث عيسى ونبينا (7)"".

قال تعالى:فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ [16-17: سبأ].

ويتضح من النص أن هذا الحدث كان بين عيسى ومحمد .

قال جواد علي:"ولم يحدد أهل الأخبار زمان حدوث سيل العرم وتهدم السد لذلك

لا نستطيع أن نستنبط شيئا من رواياتهم عن هذا الحادث" [8].

وكانت خزاعة إحدى القبائل التي خرجت من اليمن بسبب تهدم السد وحدوث السيل.

2-ذكر بعض الملوك الذين عاصروا سيل العرم: ويظهر أن هذا الحدث أيضا وهو سيل العرم كان في عهد الملك الفارسي شابور أو قبله بزمن، ولم يُحّدد من هو شابور فهناك ثلاثة أشخاص تحمل هذا الاسم في ثلاث فترات زمنية متتالية وهم "شابور الأول توفي عام 272م، وشابور الثاني توفي 379م، وشابور الثالث توفي 388م" [9].

وهذه التواريخ قد تكون قريبة من زمن عمرو إبن لحي وخاصة شابور الأول، وقد نقل الأستاذ حسن إبراهيم عن المستشرق سديو قوله:"إن خزاعة استولت على مكة في عام 207م" [10].

وقال المقدسي: "في زمن شابور بعث الله على سبأ سيل العرم" [11].

3**- رحلته إلى بلاد الشام**: ذكر المؤرخون أن عمرو بن لحي لما ذهب إلى الشام للاستشفاء من مرضه الذي ألَم به قدم على العماليق، وهي قبيلة قدمت من اليمن واستوطنت الشام وحكمتها" وعمليق هو أبو العماليق الذين منهم جبابرة الشام" [12].

فأعطوه الصنم هبل، وقد أشار المؤرخون إلى أصنام العبادة الموجودة في الشام من قبل العماليق وعبّاد الأوثان, ولم يشر أحد إلى أنَ عمرو بن لحي قد استقدم هذه الأصنام من قبل النصارى، مما يدل على الفترة التوحيدية التي كانت في بداية المسيحية، ولم تكن عبادة الأوثان قد استشرت بين نصارى الشام في ذلك الوقت, أو أنَّ النصرانية لم تكن آنذاك هي ديانة أهل الشام, وهذا يعزز القول بأنَ عمرو بن لحي عاش في الفترة القريبة من رفع المسيح عليه السلام, أو بدايات القرن الثاني كما قُّرب هذا التاريخ "سديو" فيما سبق, وذلك أن الأصنام التي ظهرت في النصرانية كانت صوراً للمسيح وأمُه فقط.

4- استعادة قصي بن كلاب السيادة على مكة المكرمة: وقصي الجد الرابع للنبي ﷺ كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه قال:"باب مبعث النبي ﷺ محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة "[13].

حيث نقل ابن سعد في الطبقات الكبرى عن فاطمة الخزاعية وكانت قد أدركتْ أصحاب النبي ﷺ قالت:" لما تزوج قصي إلى حليل بن حبشية "أحد أحفاد عمرو بن لحي "ابنته حبي وولدتْ له أولاده قال حليل: إنما ولد قصي ولدي هم أبناء ابنتي، فأوصى بولاية البيت والقيام بأمر مكة إلى قصي وقال: أنت أحق به"[14].

فهذا الخبر ينبئ عن أربعة أجداد بين النبي ﷺ وقصي الذي استعاد مكة من بني خزاعة، وقد رجح بعض الباحثين :"أنْ يكون قصي قد حكم مكة في سنة 440م"[15]، وهذا يجعلنا نقّرب الفترة الزمنية بين حكم عمرو بن لحي وزوال ملكه , وملك بنيه من بعده , وعودة الأمر إلى قصي جد النبي ﷺ, ومما يزيد الأمر وضوحا ما جاء في الفقرة الآتية.

5- **ولتقريب الفترة الزمنية لعصر عمرو بن لحي:** نسوق نسب أحد أحفاده الذين عاصروا ﷺ وهو الصحابي الجليل أكثم بن الجون وهو"زوج أم معبد الخزاعية "[16] التي مر على خيمتها رسول الله ﷺ في رحلة الهجرة الميمونة مع صاحبه الصديق رضي الله عنه حيث قال لأكثم بن الجون:"عرضتْ عليّ النار فرأيت فيها إبن قمعة ابن خندف وهو يجر قصبه في النار، وهو أول من سيّب السائبة وغّير دين إبراهيم، وأشبه من رأيت به أكثم بن الجون، قال: فقال أكثم يا رسول الله أيضرني شبهه؟ قال:لا إنك مسلم وهو كافر"[17].

أما نسب ابن الجون الذي ذكره ابن الأثير فهو:" أكثم بن الجون، وقيل ابن الجون واسمه عبد العزى بن ربيعة بن أصرم بن خبيص بن حرام بن حبشية بن كعب ابن عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة بن عمرو بن مزيقياء، وعمرو بن ربيعة هو أبو خزاعة وإليه ينسبون"[18].

فهؤلاء ثمانية جدود بين أكثم إبن الجون, وعمرو ابن لحي.

قال ابن إسحاق: "أقامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت والحكم بمكة ثلاثمائة سنه"[19].

وقد أورد أبو حاتم السجستاني:"أن عمـرو بن لحي عـاش ثلاثمائـة سـنة فكـثر ماله وولده, حتى كان يقاتل معـه من ولـده ألف مقاتل"[20].

وهذا النص لم يُسند بخبر صحيح إلى رسول الله ﷺ حتى نعتمده, ويمكن القـول من خلال هـذه الأخبـار والمقارنـات أنّ عمـرو بن لحي قد عاش في نهاية القرن الأول الميلادي وحـتى منتصـف القـرن الثـاني, إذا اعتبرنـا الأعمار الطبيعية للبشر في ذلك العصر, وأمـا إذا قبلنـا بتعمـيره ثلاثمائـة سـنة على قـول السجسـتاني فهـو بهـذا يكـون قـد عـاش إلى بدايات القرن الثالث للميلاد والله أعلم.

المطلب الثالث
سيطرة عمرو بن لحي على مكة

عندما أكرم الله تعالى إبراهيم عليـه السلام وابنه إسماعيل بإعادة بناء الـبيت كمـا أخـبر سـبحانه وتعـالى بقولـه: ﴿وَإِذْ يَرْفَـعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْـمَاعِيلُ رَبَّنَـا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّـــمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[127: البقرة].

كانت أولى القبائل العربية التي عاشت في مكـة هي قبيلـة جـرهم كمـا أخـبر النـبي ﷺ حيث قـال: "يـرحم اللـه أم إسـماعيل لـو تـركت زمـزم، أو قـال – لـو لم تغـرف من المـاء لكـانت عينـا معينـا، وأقبـل جـرهم فقالوا: أتأذنين أنْ ننزل عندك؟ قـالت نعم، ولكن لا حقّ لكم في الماء قالوا: نعم"[21].

وقـد بقيت ولايـة الـبيت في ذريـة إسماعيل عليه السلام وكان آخـرهم "نـابت بن إسماعيل وولي أمر البيت جده الحـارث بن مضاض، وقيل وليها مضـاض ابن عمـرو بن جــرهم، ثم قســمت الولايــة بين ولــد إسماعيل بمكـة وأخـوالهم من جـرهم, ولاة الـبيت لا ينـازعهم ولـد إسـماعيل إعظامـا للحرم أنْ يكون فيه بغي أو قتـال, ثم بقيت جرهم في البيت ووافق بقيتهم تفرق سـبأ, ونـزول بـني حارثـة بن ثعلبـة بن عمـرو بن عامر أرض مكة، وأرادوا المقام مـع جـرهم فمنعوهم, واقتتلـوا فغلبهم بنـو حارثـة وهم فيمـا قيـل خزاعـة , وملكـوا الـبيت عليهم ورئيسهم يومئذ عمرو بن لحي, وشرد بقيـة جرهم"[22].

"وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في أمـر الملـك على الحجـاز بين جـرهم, وبين بني إسماعيل، فمن قائل كـان الملـك على الحجـاز في جـرهم، ومفتـاح الكعبـة وسدانتها في يد ولـد إسـماعيل، ومن قائل إن قيذار توجته أخواله جـرهم، وعقـدوا لـه الملك عليهم بالحجـاز، وأمـا سـدانة الـبيت الحرام ومفاتيحه فكانت مع بـني إسـماعيل بغير خلاف, حتى انتهى ذلـك إلى نـابت من ولـد إسـماعيل، فصـارت السـدانة بعـده لجرهم"[23].

قال ابن هشام: "ثم إن جرهمـا بغـوا بمكـة فاستحلوا حرامـا من الحرمـة, فظلمـوا من دخلهـا وأكلـوا مـال الكعبـة، وكـانت مكـة تسمى النساسة, لا تقـر ظلمـا ولا بغيـا, ولا يبغي فيها أحد على أحد إلا أخرجتـه, فكـان بنو بكر بن عبـد منـاه بن كنانـة بن غسـان, وخزاعة حلولا حول مكة "أي مقيمين خارج الحرم" فآذنوهم بالقتـال فـاقتتلوا, فغلبتهم خزاعة ونفتهم عن مكة, فجعل الحـارث بن عمرو بن مضاض الأصغر يقول:

وقائلـــةٍ والدّمــع سكـبٌ مبادر ... وقــد شــرقت بالــدّمع منهــا المحاجـــر
كان لم يكن بين الحجون إلى الصّفا ... أنيس ولم يســـمر بمكـــــة سامـــر
فقلت لهـا والقلـب منّـى كأنمـا ... يلجلجـــــه بين الجناحيـــــن طائـــر
بلى ؟! نحن كنّـا أهلهـا فأزالنـا ... صــروف الليــالي والجـــدود العواثـــر
وكنا ولاة البيت من بعـد نابـتٍ ... نطوف بـذاك الـبيت والخـير ظاهـر
فأخرجنا منهـا المليـك بقـدرةٍ ... كــذلك يــا للنّــاس تجـــرى المقادر"[24]

المطلب الرابع
سياسة عمرو بن لحي في حكم مكة
وبداية التغيير الذي أحدثه

كان لمكة المكرمة وبيتهـا الحـرام قداسة عجيبة في قلوب العرب, كما يقــول الثعالبي في تفسير قوله تعالى:﴿جَعَـلَ اللَّهُ

الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:97]. "أي جعلها بمنزلة الرئيس يقوم به أحد أتباعه, فهي تحجزهم عن ظلم بعضهم بعضا، وكذلك الهدي والقلائد ذلك أيضا قياما للناس فكان الرجل إذا دخل الحرم أمِن من عدوه, وإذا ساق الهدي كذلك لم يعرض له، وكان الرجل إذا أراد الحج تقلد بقلادة من شعر, وإذا رجع تقلد بقلادة من لحاء الشجر فلا يعرض له ولا يؤذى حتى يصل إلى أهله ...وكان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض, ولم يكن في العرب ملوك تدفع عن بعضهم ظلم بعض, فجعل الله لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض"[25].

وقد بدأ عمرو بن لحي مُعظِّما للكعبة وحرمتها, إلا أنه أحدث فيها من العقائد والعبادات والتشريعات الجاهلية ما لم تعهده العرب, وقد وصف الأزرقي حال مكة في عهده فقال: "وبلغ بمكة وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ قبله ولا بعده في الجاهلية، وهو الذي قسّم بين العرب في حطمة حطموها عشرة الآف ناقة، وكان قد أعور عشرين فحلا, وكان الرجل في الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فقأ عين فحل إبله، فكان قد فقأ عين عشرين فحلا، وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدايف الإبل ولحمانها على الثريد , وعم في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن، وكان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب، وكان قوله فيهم دينا متبعا لا يخالف، وهو الذي بحّر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وسيب السائبة, ونصب الأصنام حول الكعبة, وجاء بهبل من هيت من أرض الحجاز فنصبه في بطن الكعبة, فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام، وهو أول من غّير الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل .... فكان عمرو بن لحي يلي البيت وولده من بعده خمسمائة سنة، حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو، فتزوج إليه قصي ابنته حبى ابنة حليل، وكانوا هم حجابه، وخزانه، والقّوام به، وولاة الحكم بمكة، وهو عامر لم يخرب فيه خراب، ولم تبن خزاعة فيه شيئا بعد جرهم، ولم تسرق منه شيئا علمناه ولا سمعنا به، وترافدوا على تعظيمه والذب عنه, وقال في ذلك عمرو بن الحارث بن عمرو الغبشاني:

نحن وليناه فلم نغشه
وابن مضاض قائم يهشه
يأخذ ما يهدى له يفشه
نترك مال الله ما نمسه"[26].

المطلب الخامس
هل كانت الأصنام موجودة بمكة قبل عمرو بن لحي

استغل عمرو بن لحي سيطرته القوية على مكة المكرمة التي لها القداسة الكبرى عند العرب, وبدأ في الابتداع وتغيير الملة الحنيفية التي هي التوحيد الخالص الذي فطر الله تعالى عليه البشر منذ خلق أبيهم أدم عليه السلام, والتي جّددها إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام، وبقيت في أهل مكة وجزيرة العرب إلى أن جاء عمرو بن لحي فبّدلها ونشر عبادة الأصنام، وفي هذا يقول ابن تيمية: "ومعلوم أنّ العرب قبله كانوا على ملة إبراهيم على شريعة التوحيد, والحنيفية السمحة دين أبيهم إبراهيم,

فتشـبهوا بعمـرو بن لحي وكـان عظيم أهـل مكة يومئذ؛ لأن خزاعة كانوا ولاة الـبيت مثـل قريش، وكـان سـائر العـرب متشـبهين بأهـل مكة لأن فيها بيت اللـه وإليهـا الحج, ومـازالوا معظمين من زمن إبراهيم عليه السلام" [27].

وتبرز هنا بعض القضايا الهامة عند عرضـنا لمنهج عمـرو بن لحي في الـدعوة لعبادة الأصنام, أو فرضـها على مكـة, ومن ثم دعوة العـرب بشـتى قبـائلهم إليهـا على النحو الآتي:

الأول: تعلق أهل مكة بــــــالبيت الحرام وحمل حجارته معهم: يقـف الباحث لهذه المسألة أمـام بعض النصـوص وقفة استغراب، لأن هناك روايات تقول إنّ عبادة الأصـنام كـانت قبـل عمـرو بن لحي، ومنها:

1- مـا رواه ابن الكلـبي في كتـاب الأصـنام حيث قال:"وكان الذي سلخ بهم إلى عبـادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظـاعن إلاّ احتمـل معـه حجـراً من حجـارة الحرم، تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثمـا حلوا وضعوه وطافوا به كطـوافهم بالكعبـة، تيمنا بها وصبابة بالحرم وحبـا لـه، وهم بعـد يعظمون الكعبة, ومكة ويحجون ويعتمـرون على إرْث إبراهيم عليهما السلام" [28].

وهنا يرد الإشكال هل كان هذا قبل إحـداث عمـرو ابن لحي لعبـادة الأصـنام أم بعد ذلك؟ والـذي أراه وأميـل إليـه أنـه بعـد إحـداث عمـرو اسـتنادا إلى حصـر النـبي ذلك , بدعوة عمرو بن لحي لعبادة الأصـنام وتغيير ملة إبراهيم عليه السلام.

الثـاني: ما ذكر عن وجـود صـنميْ أسـاف ونائلة قبل عمـرو بن لحي: أمــا النص الثــاني الــذي يعــزز الإشــكال السابق أيضاً, فهو القول بأنّ أسـاف ونائلـة كانا صنمين قبـل عمـرو بن لحي فقـد روى الأزرقي :"إن جرهما لما طغت في الحـرم، دخل منهم رجل وامرأة يقـال لهمـا أسـاف ونائلــة ففجــرا فيــه فمســخهما اللــه إلى حجـرين، فأخرجـا من الكعبـة، فنصـبا على الصــفا والمــروة ليعتــبر بهمــا من رآهمــا، ولــيزدجر النــاس عمــا ارتكبــا, فلم يــزل أمرهما يدرس ويتقادم, حتى صـارا صـنمين يُعبدان. وإنّ عمرو بن لحي دعا النـاس إلى عبادتهما، وقال للناس إنما نصبا هـا هنـا أن آبـاءكم ومن قبلكم كـانوا يعبـدونهما، وإنمـا ألقاه إبليس عليه" [29].

ونريد أن نحلل هذا النص فنقول:

أولاً: إن هذه الرواية لم تثبت بنص صحيح عن النبي فقد روى الطبراني هذه الرواية بسند ضعيف إلى النبي أنه قال :"كان أساف ونائلة رجلاً وامرأة فمسخهما الله حجرين فكانا بمكة"، وذلك أن أحد الرواة لهذا الحديث يوصم بالكذب وهو خالد بن يزيد وهو كذاب [30].

ثانياً : لأنّ المسخ هذا أصبح ذريعة للشرك، وهو مخالف لنص النبي في الصحيح أن أول من غير دين إبراهيم هو عمرو بن لحي حيث قال: "رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيّب السوائب" [31].

وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة أن رسول الله قال: "لا تسبوا مضر فإنه كان على دين إبراهيم وإن أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعه بن خندف وقال: رأيته يجر قصْبه في النار" [32].

ومما يبطل هذا الزعم بحدوث المسخ المزعوم, أن ابن عباس قرن الشرك بما أحدثه قوم نوح من نصب الأصنام, واتخاذها معبودات من دون الله، وبعد زمن طويل جاءهم الشيطان من جهة تعظيم الصور وأصنام القوم الصالحين، فكان هذا التصوير ذريعة للشرك اتخذها قوم نوح فيما بعد، وهي الأصنام التي استثارها عمرو بن لحي حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما:" صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودّ فكانت لكلب(قبيلة) بدومة الجندل(بلدة)، وأما (سواع) كانت لهذيل(قبيلة)، وأما (يغوث) فكانت لمراد (قبيلة) ثم لبني غطيف(قبيلة) بالجوف عند سبأ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان(قبيلة يمنينة)، وأما (نسر) فكانت لحمير لآل ذي الكلاع (قبيلة سيدها معد يكرب)، وجميعها أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم، التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت" [33]

وهذا هو الحق أن عمرو بن لحي هو الذي أسس هذه العبادة لقول الأزرقي:

"إن عمرو بن لحي دعا الناس إلى عبادتهما، وقال للناس إنما نصبا هاهنا ليعبدا، أو إن آباءكم ومن قبلكم كانوا يعبدونهما، وإنما ألقاه إبليس عليه، وكان عمرو بن لحي فيهم شريفا سيدا مطاعا ما قال لهم فهو دين يتبع"[34].

إن الخروج من هذا الإشكال يجعلنا نرجح ظهور هذه الأصنام وما رافقها من خرافات، في وقت متأخر على يد عمرو بن لحي، الذي حشد كل إمكاناته لعبادة الأصنام، ولو باستغلال قداسة البيت، وطرح هذه الأقاويل في مجتمع جمعت له كل القوى لصرف الناس عن ملة إبراهيم إلى عبادة الأوثان، التي أصبح لكل منها قصة وخبر توافق أهواء المجتمع السائدة آنذاك.

ومما يمكن استنتاجه أن هذين الصنمين ليسا على هيئة معينة وقام عمرو بالزيادة عليهما وإلباسهما النحاس حتى زاد الأمر غموضاً في مجتمع غزْته الخرافات والأوهام، بسبب اندراس عقيدة التوحيد وشرائعها وهذه الرواية تؤكد ما ذهبت إليه حيث روى الإمام أحمد وغيره، قال زيد بن حارثة:" فأتى النبي ﷺ البيت فطاف به وأنا معه وبالصفا والمروة, قال: وكان بالصفا والمروة صنمان من نحاس أحدهما يقال له أساف، والآخر يقال له نائلة، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فقال النبي ﷺ: لا تمسحهما، فإنهما رجس. فقلت في نفسي: لأمسحنهما حتى أنظر ما يقول النبي ﷺ فمسحتهما. فقال: يا زيد ألم تُنْه" [35].

ونخلص إلى القول أن ابن الكلبي قد زاد وأنقص، وقدم وأخر، في ترتيب أمر الأصنام،وان الحل الوحيد للخروج من إشكالات ابن الكلبي, مع تضعيف المحِّدثين له، وإنْ كان من علماء الأنساب المعدودين[36] [36] [36] أقول إن الخروج من كل ذلك هو"الاقتصار"على قول الصادق المصدوق ﷺ وهو الذي زكاه ربه جل جلاله فقال فيه:(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{3} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[3-4: النجم] الذي نص على أن عمرو بن لحي هو الذي غير دين إبراهيم اعتقاداً وتشريعاً، وعلى هذا يكون فهم الأمور وترتيبها، على أن هذا التبديل والتغيير قد تم بكل تشعباته وتفصيلاته على يد عمرو بن لحي، الذي فتح باب الشرك والوثنية في جزيرة العرب، ولا يمنع هذا أن تكون هذه القبائل المتناثرة في الجزيرة قد وسعت دائرة الشرك، وابتدعت أصناما وانحرافات كثيرة، حتى ظهرت الأصنام على نطاق واسع في معظم القبائل المقيمة خارج مكة المكرمة.

المطلب السادس
كيف نشر عمرو بن لحي عبادة الأصنام

تظهر النصوص المتوافرة لدينا أن عمرو بن لحي سافر إلى الشام, فوجدهم يعبدون الأصنام، فأحضر معه هبل، ودعا الناس إلى عبادته، والرواية الثانية تبرز تطور هذا الأمر، وأنّ عمرو بن لحي قد أخبره رئِيّة من الجان عن مكان الأصنام المعدة على شاطئ جدة، وسوف نفرد كل خبر بالتفصيل والتعقيب لإبراز الخلاصة في هذه المسألة على النحو الآتي :

الأول : سفره إلى الشام وجلبه للصنم هبل: قال ابن الكلبي: "فقد مرض مرضا شديدا، فقيل له: إن بالبلقاء من الشام حّمة إن أتيتها برئت، فأتاها فاستحم بها فبرء، ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال: ما هذه ؟ فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها إلى مكة ونصبها حول الكعبة"[37].

وقال الحموي:"فلما صنع عمرو بن لحي ذلك، دانت له العرب لعبادة الأصنام وعبدوها"[38].

وروى ابن هشام: "فقال لهم أفلا تعطونني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه، فأعطوه صنما يقال له هبل , فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه"[39].

وقد نص أبو البقاء الحلبي أنه أخذه من العماليق القاطنين في الشام فقال: "وقدم بالصنم المعروف بهبل من الشام من عند العماليق فجعله على الكعبة وأمر بعبادته"[40].

نستخلص من هذه النصوص عدة مسائل:

1- أن أول من نقل عبادة الأصنام وغيَّر دين إبراهيم هو عمرو بن لحي كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

2- إن هذه العبادة كانت معروفة في أقوام وثنيين من العماليق, الذين تعود أصولهم إلى أرض اليمن فخرجوا واستوطنوا الشام .

3- لا تشير النصوص إلى لقاء عمرو بن لحي بقسس النصارى، كما لا يوجد إشارة إلى الديانة النصرانية التي يبدو أنها لم تكن قد انتشرت بين أهل الشام، ولعل هذه إشارة إلى عدم اعتناق الحكام الرومان لها الذين فرضوا الديانة النصرانية على أهل الشام والبلاد التي سيطروا عليها فيما بعد، وهذا يضعف قول بعض الباحثين الذين يرون أنّ عمرو بن لحي قد نقل هذه العبادة عن نصارى الشام[41] حيث يبدو أن الوثنية لم تكن قد تسربت إلى النصرانية بعد.

4- إن عمرو بن لحي بدأ بالدعوة لهذه العبادة وإقناع العرب بها، وهذا ما حدا به إلى النزوع إلى قول رئيه من الجان الذي أسعفه بالحصول على أصنام قوم نوح وجلبها من شاطئ جدة والتي قام بتوزيعها على قبائل العرب وهذا ما سنلاحظه في الفقرة التالية.

الثاني: توجيه رئيِّه من الجان لنشر عبادة الأصنام بين العرب:

وهذه المرحلة التالية التي يمكن فهمها من النصوص الآتية الدالة على الانحراف الكبير الذي أحدثه عمرو بن لحي في نطاق الجزيرة العربية, واستغلاله لنفوذه كملك لمكة, ومجئ أغلب العرب لمكة، ونقلهم كل هذه الانحرافات إلى قبائلهم في ظل ذلك الخواء الديني والعقدي الذي كانت تحياه الجزيرة واندثار معالم التوحيد التي كانت عليها من الحنيفية السمحة التي جاء بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

نقل الفاكهي عن ابن الكلبي: "كان لعمرو بن ربيعة رئيٌّ من الجن فأتاه فقال له: أجب أبا ثمامة، وادخل بلا ملامة، ثم ائت سيف جدة، تجد بها أصناما معدة، ثم أوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب، قال فأتى عمرو ساحل جدة، فوجد بها ودّاً وسواعاً ويغوثَ ويعوقَ ونسراً، وهي الأصنام التي عبدت على عهد نوح وإدريس، ثم إن الطوفان طرحها هناك، فسفى عليها الرمل، فاستثارها عمرو وخرج بها إلى تهامة وحضر الموسم، فدعا إلى عبادتها فأجيب"[42].

وقال محمد بن حبيب: "فأخذ عوف بن كنانة ودّاً فنصبه بدومة الجندل وكان لقضاعة(قبيلة)، وأخذ الحارث بن هذيل سواعاً وكان برهاط(من ارض ينبع) تعبده مضر، وأخذ أنعم المرادي يغوث فكان بأكمةٍ من اليمن يقال لها مذحج تعبده، وأخذ مالك في بني حريث يعوقَ فكان بقرية يقال لها خيوان تعبده همذانً ومن والاها، وأخذ معد يكرب نسراً فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها"[43].

وهناك من يرى أن عمرو لم يجد هذه الأصنام بأعيانها، وإنما أطلق عليها هذه الأسماء لشهرتها بين الناس، كما يقول ابن

عاشـور في تفسـيره: " والأحسـن مـا رآه بعض المفسرين وما نزيده بياناً, أن أصـنام قوم نوح قد اندثرت وغمرها الطوفان، وأنّ أسماءَها بقيت محفوظة عند الذين نجوا مع نــوح من المؤمــنين، فكـــانوا يـــذكرونها ويعظـون ناشـئتهم بمـا حـل بأسـلافهم من جـراء عبـادة تلـك الأصـنام، فبقيت تلـك الأسماء يتحـدث بهـا العـرب الأقـدمون في أثـارات علمهم وأخبـارهم، فجـاء عمـرو بن لحي الخـزاعي الـذي أعـاد للعـرب عبـادة الأصنام فسمى لهم الأصنام بتلـك الأسـماء وغيرها فلا حاجة بالمفسر إلى التطـوع إلى صفات الأصنام التي كانت لها هذه الأسـماء عند العرب ولا إلى ذكر تعيين القبائل الـتي عبدت مسميات هذه الأسماء"[44].

وهذا الرأي قد يكون صوابا وقد يكون تحليلا من خلال وقائع بعض النصـوص الـتي ذكرها ابن الكلـبي، وقـد يكـون هـذا الـرأي خاطئــا أيضــا, وعلى جميــع الأحــوال تبقى حقيقة واحدة وأكيدة, تثبت منهج عمرو ابن لحي في تغيير الملة سواء نسـب كـل ذلـك إليــه، أم إنــه ابتــدأه وتطــور على يــد من عاصره أو من جاء بعده.

المطلب السابع

الكلام على الرَّئيِّ والكهانة في ذلك العصر

وهنا ترد مسالة أخرى يلزمنا تحريرها، وهي كيف يمكن القبول بتوجيه رَئيِّ عمــرو الجني له بالإتيان بالأصنام من ساحل جدة؟ وهذا يجعلنـا نحـرر مسـالة الكهانـة ودورهـا قبل عهد النبوة الخاتمة.

فمما لاشك فيه أن هذا كان موجوداً وقــد اشــتهر في العــرب عــدد من الكهنــة والكاهنــات ,وهي تعــني كمــا قــال الفــيروز أبادي: "كهانة بـالفتح وتكهن تكهنـا: قضـى لـه بـالغيب فهـو كـاهن: كهنـة وكهـان وحرفتـه: الكهانة"[45].

وقـال ابن منظـور:"الكـاهِنُ الـذي يَتعـاطي الخـبرَ عن الكائنـات في مسـتقبل الزمـان ويــدَّعي معرفــة الأَســرار، وقــد كــان في العــرب كَهَنــةٌ كشِــقٍّ وســطيح وغيرهمــا، فمنهم من كان يَزْعُم أَن له تابعــاً من الجن ورَئِيّــاً يُلقي إِليــه الأَخبــار، ومنهم من كــان يزعم أَنه يعـرف الأُمـور بمُقـدِّمات أَسـباب يســتدل بهــا على مواقعهــا من كلام من يسأَله أَو فعله أَو حاله"[46].

وقال القنوجي:"المراد منه مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة من الجن والشياطين، والاستعلام بهم عن الأحوال الجزئية الحادثة في عالم الكون والفساد المخصوصة بالمستقبل، وأكثر ما يكون في العرب, وقد اشتهر فيهم كاهنان أحدهما شِق والآخر سُطيح، وقصتهما مشهورة في السير"[47].

وكان الكهان يعتمدون على مـرَدَةَ الشـياطين من الجـان في اسـتراق السـمع الذي كان متاحاً قبل بعثة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام، وقد أخـبر اللـه تعـالى في كتابه العزيز عنهم فقـال على لسـان الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسـاً شَدِيداً وَشُهُباً{8} وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّـمْعِ فَمَن يَسْـتَمِعِ الْآنَ يَجِـدْ لَـهُ شِـهَاباً رَّصَداً﴾ [8-9: الجن].

وقد أخبر النبي ﷺ عنهم فقال:"إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ" [23:سبأ] فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ

آخَرَ, وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنَى نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ, حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الْأَرْضِ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ، فَتُلْقَى عَلَى فَمْ السَّاحِرِ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ فَيُصَدَّقُ، فَيَقُولُونَ أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَكُونُ كَذَا وَكَذَا ؟ فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنْ السَّمَاءِ)(48).

وفي رواية أخرى يعطي النبي عليه الصلاة والسلام تفصيلا لكيفية استراق السمع, فعن عبد الله بن عباس قال: "أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار, أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً, حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم, ويرمون به, فما جاءوا به على وجهه فهو حق, ولكنهم يَقْرِفون (يكذبون) فيه ويزيدون)(49).

ومما يعزز هذا الدور الذي قامت به الشياطين في إضلال البشر, الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ قال: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم, وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"(50)

إن هذه النصوص تؤكد حصول هؤلاء الشياطين على معلومة يزيد عليها الكاهن حتى تصبح معلومة غير محددة الزمن أو الحدث بيقين تام، كما قال القاضي عياض: "ولهذا كانت الكهانة فاشية فى العرب ومرجوعًا إليها فى حكمهم، وسر علمهم، حتى قطع سببها بأن حيلِ بين الشياطين وبين استراق السمعِ, كما قال تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[الجن:9](51)

نخلص إلى القول أن الكهانة كانت مصدراً من مصادر العلم عند العرب, عمادها الاستعانة بالجان، وكان عمرو بن لحي من هؤلاء الكهان كما قال الكلبي: "وكان كاهنا, وكان قد غلب على مكة وأخرج منها جرهماً وتولى سدانتها, وكان له رَئِيٌّ من الجن وكان يكنى أبا ثمامة، فقال له: عَجِّل بالمسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة! قال: جير ولا إقامة, قال: إيت ضف جدةّ، تجد فيها أصناما معدة، فأوردها تهامة ولا تهاب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجاب، فأتى شط جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة, وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة"(52)

المطلب الثامن
لماذا تعددت الأصنام ومسمياتها في قبائل العرب

وهنا يرد سؤال ذو أهمية بالغة وهو: لماذا تعددت الأصنام ومسمياتها؟ ولماذا لم يكن كافياً إعطاء هذه الأصنام اسماً موحداً؟ ولماذا جعل في كل قبيلة صنما يتعصبون إليه؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة نقول: إن هذا التوزيع هو من مكر عمرو وتعمقه في إرضاء القبائل المتناحرة من العرب، بحيث تنتشر هذه العبادة التي جّند نفسه لنشرها, ولإرضاء العرب بتمايزهم عن بعضهم البعض.

وقد تعمقت هذه العقيدة في مشركي العرب إلى عهد النبي صلى الله عليه وســلم, فنجــدهم ينكــرون على النــبي عليــه الصــلاة والسلام أنه جعل المعبود إلهاً واحداً, كما قال الله تعالى:﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:5]
قال ابن كثير:"أي أزَعَمَ أن المعبود واحـدٌ لا إله إلا هـو ؟ أنكـر المشـركون ذلـك قبحهم الله تعالى ,وتعجبوا من ترك الشرك باللــه, فـإنهم كـانوا قـد تلقـوا عن آبـائهم عبـادة الأوثــان وأشــرِبَته قلــوبُهم, فلمــا دعــاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفـراد الإلـه بالوحدانيـة, أعظمـوا ذلـك وتعجبـوا وقـالوا ﴿أَجَعَـلَ الْآلِهَـةَ إِلَهـاً وَاحِـداً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:5]"(53).

وقد أصبحت هذه الأصنام من عناوين فخرهم بحيث امتلأت بيوتهم بهـا، وجعلـوا لهـا الأمكنة التي تنصب بها, كما سـيأتي بيانـه في موضعه إن شاء الله .

المطلب التاسع
الجانب العقدي في عبادة الأصنام

1- هل قــاوم أهل مكة عمـــرو بن لحي في دعوته لنشر الأصـــنام وتغيـــير الملة؟

لا تسعفنا المصادر التاريخية الموجودة بين أيدينا بأي خبر عن مقاومة تذكر لهذا النهج الجديد الذي جاء به عمرو، بل تذكر المصادر أن عمراً بدأ مُعظِّماً للحرم، ثم ظهر عليه الانحراف تدريجيا فعندما استولى عمرو على مكة خبأ خصومه الحجر الأسود فرأتهم امرأة من خزاعة فأخبرت عمرو بذلك" فجمع بني إسماعيل وخزاعة وقال: يا بني إسماعيل، إن الله ملّككم البيت وأمر الناس ثم نزعه منكم إلى ما يشاء والأيام دول ...... وكان الحجر الأسود أعظم ما بمكة، وبه كمال الحج، فكيف ترون أمركم بعد فقده؟ فقالوا: ما لنا حياة بعده، وما بقي لنا منسك دونه! قال: فإن رده أحد عليكم، أتسندون له ولاية البيت؟ فقالوا: كيف لنا به وإياد قد حملته معها! قال: جاوبوني على ما قلت لكم؛ قالوا: نعم. فأحضر المرأة الخزاعية، ودّلتهم على المكان الذي دفنوه فيه، فأخرجوه، وردوه إلى مكانه. وصارت حجابة البيت في يد عمرو وولده من بعده، ولم يبق لبني إسماعيل لا سلطنة ولا سدانة، وحين استوى لعمرو أمره بالملك والسدانة، قال في خاطره أن يغير دين بني إسماعيل، ويخرج من عنده دينا يُتَّبع؛ وأعانه على ما أراده كثرة المال والكرم وعز القوم"[54].

وحدثت صورة أخرى من صور الانحراف الذي كان يرفضه ابن لحي نفسه عندما ألقى الشيطان عليه تغيير التلبية فقال ""وكانت التلبية في عهد إبراهيم عليه السلام: اللهم لبيك لا شريك لك، حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي إذ تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال عمرو: لبيك لا شريك لك؛ فقال الشيخ: إلا شريكاً هو لك! فأنكر ذلك عمرو، فقال الشيخ: تملكه وما ملك؛ فإنه لا بأس بهذا! فقالها عمرو ودانت بها العرب"[55]

أما المعارضة له في عصره فأخبارها قليلة شحيحة، إلا ما ذكـره المسـعودي عن أحد معاصري عمرو من قبيلة جـرهم، حيث قال المسعودي: "ولما أكثر عمــرو بن لحي من نَصْب الأصنام حـول الكعبـة وغلب على العرب عبادتهـا، وانمحت الحنيفيـة منهم إلا لمعـــاً، قـــال في ذلـــك شـــحنة بن خلـــف الجرهمي:

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة
شتى بمكـة حول البيت أنصاباُ
وكان للبيت رَبٌّ واحد أبـداً
فقد جعلـت لـه في الناس أرباباً
لتعرفنَّ بأن اللّه في مَهَــل
سيصطفي دونكم للبيت حجابا"[56]

ولكن المصادر حافلة بأخبار الحنفاء الذين برزوا قبـل بعثـة النـبي الخـاتم عليـه الصلاة والسلام،الذين كانوا يـدعون للعـودة إلى دين إبراهيم عليـه السـلام، ولكن هـذه الـــدعوة كـــانت عـــاجزة أن تقـــدم صـــورة واضحة عن دين إبراهيم وتعاليمه، في ظـل الجاهلية الجاثمة على العـرب آنـذاك، ومـع ذلك فـان رفض الحنفـاء يبـدو واضـحا جليـا في شعرهم وأحوالهم، ومثاله ما قالـه زيـد بن عمـــرو بن نفيـــل وهـــو يـــبرأ من أصـــنام قومه التي نصبها ابن لحي حيث قال:

"أربٌّ واحد أم ألف ربٍّ
أدين إذا تقسمـت الأمـــور
عزلت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الجلــد الصبـور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولاصَنَمَي بنـــي عمرو أزور
ولا غنما أدين وكان ربـا
لنا في الدهر إذ حلمي يسير"[57]

وقد استفاض الحديث عن الحنفاء قديما وحديثا، وقد بحث هذه المجموعة الدكتور محمد الملكاوي في بحثين

منشورين، وقد أعطى فكرة معمقة عنهم، لا يتسع مجال البحث للتفصيل حولهم [58]

ولكن الجزئية التي نبحثها هنا هي انحرافات عمرو بن لحي التي صرفت العرب عن عقيدة التوحيد التي جاء بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى عبادة الأصنام، ولم يكن الأمر مقتصراً فقط على الدعوة إلى عبادة الأصنام ونصبها وتزيينها والعناية بها، بل تعدى ذلك إلى التشريعات المختلفة التي جنحت إلى مذاهب التحريم ووضع الحرج على أموالهم وبهائمهم ومطاعمهم ومشاربهم ومراكبهم أيضا، وهذا يعبر عن توسع دائرة الشرك إلى الخوض في مسائل التشريع التي كان داخِلها الهوى الباطل الذي لا أصل له.

تعتبر عبادة الأصنام هي القاعدة الأولى التي انبثقت عنها كل الانحرافات التشريعية التي جاء بها عمرو بن لحي، وقد أخبر القرآن الكريم عن هذا الأمر فقال سبحانه وتعالى مخاطباً قريش التي ورثت عبادة الأصنام: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (4) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [4-5:الاحقاف].

وقال تعالى:﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [21: الشورى].

ويجدر بنا أن نبحث في بيان صور هذه العبادة الشركية التي أوجدها عمرو بن لحي على النحو الآتي:-

2- اتخاذها آلهة من دون الله: لم يكن المشركون يعتقدون في الأصنام القدرة على الخلق والإحياء والإماتة والرزق، وقد أخبر القرآن عن هذا في مواضع متعددة ,فقال سبحانه وتعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [25: لقمان] .

وقال سبحانه وتعالى﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[38:الزمر].

وقال تعالى﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [87:الزخرف].

وقال المشركون عن أصنامهم التي يعبدونها إنها تقربهم إلى الله زلفى, فقال سبحانه وتعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [3:الزمر].

وقد زعموا أن هذه الأصنام هي شفعاء لهم من دون فقال تعالى﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [43-44:الزمر].

وليس من قصد هذا البحث الاستقصاء لهذه الآيات الكريمة، وإنما النظر في الإحداثات الجاهلية التي أحدثها عمرو بن لحي في هذا الشأن، فقد أنشأ تعظيم هذه الأصنام، ولعل من أبرز الألفاظ التي وردت في على لسان عمرو, ما أحدثه في التلبية في الحج، فقد روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله ﷺ : ويلكم قد قد فيقولون, إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت"(قد قد) روى بإسكان الدال وكسرها مع التنوين ومعناه:(كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا)[59]

وكانت ديانة إبراهيم الحنيفية التي استبدلها عمرو ابن لحي كما يقول ابن إسحاق: (وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف على عرفات والمزدلفة، وهدى البدن والإهلال بالحج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، فيوحدونه بالتلبية ثم يُدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده، يقول الله تعالى لمحمد ﷺ:"﴿وما

يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون [106: يوسف] أي ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكاً من خلقي، وذلك أن أول من لبى هذه التلبية عمرو بن لحى، وأن إبليس تبدّى له في صورة شيخ، فجعل يلقنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول،واتبعه العرب في ذلك)[60]

ومن معتقداتهم الباطلة قولهم إن أصنامهم بنات لله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، ففي تفسير قوله تعالي(وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ [100:الأنعام]. فعن قتادة في قوله:(وخرقوا له بنين وبنات) قال: كذبوا عليه، أما اليهود والنصارى فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وأما مشركو العرب فكانوا يعبدون اللات والعُزَّى فيقولون: العزى بنات الله، فأكذبهم الله في ذلك) [61].

وقد تمكنت هذه العقائد الجاهلية من قلوب العرب إلى أن بعث النبي محمد وحطم هذه الأصنام، ونشر التوحيد, وقضى على الشرك وصوره.

3- نصبها حول الكعبة وما جاور مكة من حواضر الجزيرة وقراها: مما لا شك فيه أن هذه العبادة قد تدرجت زمنياً بحسب الأهواء المستمرة التي كانت تتطور مع ازدياد الانحرافات الجاهلية، فقد بدأ التعظيم للأصنام بنصبها ثم الطواف حولها، ثم إقامة الأعياد عندها، ثم الذبح والأكل عندها، ولعل إعطاء الضوء على مثل هذه الطقوس الجاهلية يدفعنا إلى عرض هذه النصوص التي من خلالها سنزيد الأمر جلاء، فهذه الأصنام كما يقول ابن الأثير في تعريفها هي: "ما اتخذ إلهاً من دون الله، وقيل هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن, والأنصاب جمع نُصب بضم الصاد وسكونها وهو حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ويتخذونه صنماً يعبدونه, وقيل هو حجر كانوا ينصبونه ويذبحون عليه فيحمر بالدم" **[62].**

وعندما قام عمرو بنشر الأصنام وإشاعتها كانت الوسيلة المثلى لتعظيمها, وضعها في أشرف الأماكن وأشدها قدسية لدى العرب، وهي الكعبة المشرفة وحرمها، حيث يقْدم العرب إليها في موسم الحج وغيره من مناسبات تجارتهم وأسواقهم، فكانت هذه الأصنام وصورها وتنوعها حدثاً غريباً على العرب، مما ساهم في تقبلها وسرعة انتشارها والتعلق بها ,حيث كانوا يصورون إبراهيم وإسماعيل اللذين كانا رسولي ديانتهم التوحيدية وهما يستقسمان بالأزلام .

فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:(إن رسول الله لما قدم أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال رسول الله (قاتلهم الله أما والله قد علموا أنهما لم يستقسما بها قط) . فدخل البيت فكبّر في نواحيه ولم يصلِّ فيه) [63].

ومما يوضح ضخامة هذا الجهد الجاهلي الذي بذل في جلب الأصنام ونصبها حول الكعبة والعناية بها ومعرفة عابديها والمتعصبين لها, وما يختص بكل واحد منها من تاريخ جلبها ونصبها ورمزها الذي ترمز إليه، هذا العدد الضخم الذي وجده رسول الله عليه الصلاة والسلام منصوباً حول الكعبة المشرفة يوم فتح مكة ,فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (دخل النبي مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصباً، فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول جاء الحق وزهق الباطل [81:الإسراء] [64].

4-تعبيد الأسماء إليها: وهذه من أهم المسالك التي تجعل صاحب الاسم متعلقاً بهذا الصنم أو ذاك، وقد كان ذلك كثيراً في العرب، فكان من أصنامهم المعظمة عندهم (مناة) وهي التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز مع أعظم الأصنام شهرة عند العرب وهي (اللات والعُزَّى) فقال: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى{19} وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى{20} أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى{21} تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى{22} إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى [19-23:النجم] .

فكانوا يسمون(عبد مناة) [65] ومن مسمياتهم (تيم اللات وزيد اللات)[66] نسبة إلى صنم كان في الطائف، (وكانت صخرة

مربعة وكان يهـودي يلتّ عنـدها السـويق)[6][7]، وقد روى الإمام البخاري عن ابن عبـاس رضـــي اللـــه عنهمـــا: في قولـــه {اللات والعـــزى} كـــان اللات رجلا يلت ســـويق الحـــاج) [68]، وقيــل: (إن رجلاً ممن مضــى كان يقعد على صخرة لثقيـف يـبيع السـمن من الحـاج إذا مـروا فيلتّ سـويقهم، وكـان من ذي غنم فسميت صـخرة اللات فمـات، فلما فقده الناس قال لهم عمـرو: إن ربكم كان اللات فدخل في جوف الصخرة،)[69].

وأما العزى فكانت (ثلاث شجرات سـمرات بنخلـة، وكـان أول من دعـا إلى عبادتها عمرو بن ربيعة والحــارث بن كعب، وقـال لهم عمـرو: إن ربكم يتصيـف بـاللات لبرد الطـائف، ويشـتو بـالعزى لحـرّ تهامـة، وكان في كل واحدة شيطان يعبد،)[70].

ومن مسمياتهم في التعبيد لها (عبد العــزى)[71] نسـبة إلى العــزى وكـانت من أعظم أصنامهم قـال ابن الكلـبي: "وكـانت قريش والعرب أشدّ إعظاما لهـذه الأصـنام الثلاث وهي العزى ثم اللات ثم مناة" [72].

وقال ابن الكلبي: "وقد كانت العرب تسـمي بأسـماء يُعبِّـدونها ولا أدري أعبـدَّوها للأصنام أم لا، منها عبد ياليل، وعبد غنم ,وعبد كلال, وعبد رضي"[73] ولعلها للأصـنام الكثـيرة التي كانت حول الكعبة وكـانت مغمـورة ليس لها شهرة الأصنام الكبرى التي سبق ذكرها.

5- **عمل القـــداح والاستقســـام بالأزلام عندها**: وكان هذا العمـل يتم عنـد الصنم الأول الـذي جلبـه عمـرو بن لحي معـه وهو هبل (وكان في جـوف الكعبـة وكـان من عقيق أحمر على صورة إنسـان مكسـور اليـد اليمنى، أدركته قريش كـذلك فجعلـوا لـه يـداً من ذهب، وكان قدامـه سـبعة أقـدح مكتـوب في أولها صريح، والآخـر ملصـق، فـإذا شـكّوا في مولود، أهدوا له هدية، ثم ضربوا بالقـداح، فإنْ خـرج صـريح ألحقـوه، وإنْ خـرج ملصـق دفعوه، وقدح على الميت، وقدح على النكاح، وثلاثـة لم تفسـر لي على مـا كـانت، فـإذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً أتـوه فاستقسموا عنده، فما خرج عملوا به وانتهـوا إليه، وعنده ضرب عبـد المطلب القـداح على ابنه عبد الله والد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)[74].

6- **التـبرك بها وعنـدها**: فقـد امتلأت البيوت والساحات بهذه الأصنام (وكـان لأهـل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحـدهم السـفر كـان آخـر مـا يصـنع أنْ يتمسح به، وإذا قدم من سـفره كـان أول مـا يصــنع إذا دخــل منزلــه أنْ يتمســح بــه أيضاً....وقـد اتخـذوا لهـا بيوتـاً, ومن لم يقـدر نصب حجراً أمام الحـرم وطـاف بـه كطوافـه بـالبيت، وسـموها أنصـاباً، فـإذا كـانت تماثيـل دعوهـا الأصـنام والأوثـان, وسـموا طـوافهم الدوار)[75].

ومما يروى عن أحد أصنامهم (وكـان بسـاحل جـدة واسـمه (سـعد) وكـان صـخرة طويلة، فأقبل رجل منهم بإبل له ليوقفها عليه يتبرك بذلك فيها، فلما أدناها منـه نفـرت منـه وكان يهراق عليه الدماء فذهبت في كل وجـه وتفرقت عليه، وأسف فتناول حجراً فرماه بـه وقـال : لا بـارك اللـه فيـك إلهـا أنفـرت علي إبلي, ثم خـــرج في جمعهـــا وانصـــرف وهـــو يقول:

"أتينا إلى سعد ليجمع شملنـا
فشتتنا سعـد فـلا نحـن مـن سعـــد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفـة
من الأرض لا يــــــدعى لغي ولا رشد"[76].

وهكذا تبدو لنا صورة واسعة من صور الانحـــراف والإغـــراق بالشـــرك، عملت بهـــا الأهـواء عملهـا القاتـل في توجيـه النـاس إلى هـذه الانحرافـات العقديـة، ومـا رافقهـا من متطلبـات ماديـة مكلفـة لعب بهـا الخيـال الجـــاهلي دوراً عجيبـــاً في تكليفهم مـــا لا يطيقـون، ولتوسـيع هـذه المعانـاة البشـرية الهائلة سـنزيد الأمـر وضـوحاً في التشـريعات الهائلـة الـتي عمقت من ثقـل الجاهليـة على كاهل ذلك المجتمـع, وهـذا مـا سنوضـحه في المطلب القادم إن شاء الله.

المطلب العاشر
الجانب التشريعي الذي أحدثه عمرو بن لحي في تغيير الملة الحنيفية

تمهيد: لا يعلم يقينـاً الـترتيب الزمـني لهـذه التشريعات الجاهلية الـتي اسـتطاع عمـرو بن لحي أو من جاء بعـده إشـاعتها وتطبيقهـا في مكة المكرمة والجزيرة العربيـة، ولكن ممـا لا شك فيه أنْ دائرة الانحراف الـتي ابتـدأها ابن لحي لم تتوقـف عنـد عبـادة الأصـنام، وإنمـا

اتسعت دائرة متطلباتها إلى تعقيدات كبيرة وصلت إلى مسائل في التحريم، ضيقت على الناس سبل الاستفادة من أنعامهم وزروعهم وأموالهم , وحتى وصلت بهم الجهالة إلى قتل الأبناء والبنات تحت حجج باطلة لعبت بها الأهواء درجة فاقت الخيال، حتى قال فيها ابن عباس رضي الله عنهما هذه العبارة الجامعة: "إذا سرك أن تعلم جهل العرب اقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم إلى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين [الانعام 140]"[77].

وسوف نعرض لأبرز هذه التشريعات الباطلة والظالمة (على سبيل المثال لا الحصر) والتي تطورت بصورة واسعة حتى بعثة النبي الخاتم .

1- إشارة القرآن الكريم إلى التشريعات الجاهلية في الأديان السابقة ومشركي العرب:

لقد أشار القرآن الكريم إلى التشريعات التي اخترعتها الأهواء البشرية في اليهودية والنصرانية ومشركو العرب، فقال تعالى عن اليهود والنصارى اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [31:التوبة]

وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية لعدي بن حاتم رضي الله عنه عندما قدم عليه، روى البيهقي في سننه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: "أتيت النبي وفي عنقي صليب من ذهب، قال فسمعته يقول:اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله[31:التوبة] قال: قلت يا رسول الله: إنهم لم يكونوا يعبدونهم قال أجل, ولكن يُحلّون لهم ما حرّم الله فيستحلونه, ويحرّمون عليهم ما أحلّ الله فيحرمونه, فتلك عبادتهم لهم"[78].

وقد نسب الله تعالى التشريعات التي جاء بها ابن لحي وغيره إلى الهوى والكذب والافتراء، فقال تعالى:وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [144:الأنعام]

وقال تعالى :قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ [150:الأنعام]

وقال تعالى:وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ [116:النحل]

وقال تعالى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [32:الأعراف]

وقال تعالى:قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ[59-60يونس]

وقال تعالى:وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ [119:الأنعام]

وهكذا نجد القرآن الكريم قد بين فساد التشريع البشري كله، وجاءت البعثة الخاتمة لترفع الإصر والأغلال عن بني الإنسان من النصارى واليهود (لوآمنوا) والعرب وعامة البشرية، فقال سبحانه وتعالى:الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخبائث وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [157:الأعراف]

1- التحـــريم والتحليل في صـــور متعددة:

لقد نص النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام على أن أول من سيب السوائب هو عمرو بن لحي في الحديث الصحيح، حيث روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "خسفت الشمس فقام النبي فقرأ سورة طويلة ثم ركع فأطال, ثم رفع رأسه ثم استفتح بسورة أخرى ثم ركع حين قضاها وسجد ثم فعل ذلك في

الثانية, ثم قال (إنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتم ذلكم فصلوا حتى يفرج عنكم, لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وُعِّدتُه, حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها عمرو بن لحي، وهو الذي سيب السوائب"[79].

ومما يلاحظ على هذه التشريعات الظالمة, أنها توجهت إلى المال الذي تحويه العرب، وهو الإبل والشاة والماعز , الذي جعل فيه البحيرة والسائبة والوصيلة والحام , وسوف نعطي تفسيرا لهذه المصطلحات كي تعطي مزيدا من الضوء على الحمل الثقيل الذي يتحمله البشر بسب تشريعات الأهواء التي ينساقون إليها في غمرة غياب التشريع الإلهي, بكماله وعدله المطلق.

أ-البحيرة: لقد عمد عمرو بن لحي إلى ربط المجتمع الذي يسيطر عليه بأمور موجهة للتعلق بالطواغيت التي يعبدونها من دون الله، فجعل ذلك ديناً يتعلقون به ولا يسعهم الخروج عنه، وبدأ بتصنيفات باطلة في مسميات خاصة بالإبل وبقية الأنعام والثمار كما سيأتي بيانه، وأول هذه المبتدعات: البحيرة، وقد عرفها الفيروز أبادي فقال: "كانوا إذا نُتِجَتِ الناقَةُ أو الشاةُ عَشَرَةَ أبْطُنٍ بَحَروها(شقوا أذنها) وتَرَكوها تَرْعَى وحَرَّموا لَحْمَها إذا ماتَتْ على نِسائِهِمْ وأكَلَها الرِّجالُ، أو التي خُلِّيَتْ بلا راعٍ، أو التي إذا نُتِجَتْ خَمْسَةَ أبْطُنٍ والخامِسُ ذَكَرٌ نَحَروه فأكَلَهُ الرِّجالُ والنِّساءُ، وإن كانتْ أُنْثَى بَحَروا أُذُنَها فكانَ حَراماً عليهم لَحْمُها ولَبَنُها ورُكُوبُها، فإذا ماتَتْ حَلَّتْ لِلنِساءِ، أو هي ابْنَةُ السَّائِبَةِ وحُكْمُها حُكْمُ أمِّها, أو هي في الشَّاءِ خاصَّةً إذا نُتِجَتْ خَمْسَةَ أبْطُنٍ بُحِرَتْ أيضاً"[80].

وقال ابن سعيد الأندلسي: "فكانت الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا إلى الخامس _ ما لم يكن ذكراً _ فشقوا أذنها؛ فتلك البحيرة, فربما اجتمع منها هجمة فلا يجز لها وبر، ولا يحمل عليها شيء، وكانت ألبانها ومنافعها للرجال دون النساء"[81].

وقد أشار القران الكريم إلى الكيد الشيطاني الذي انطلى على ابن لحي, فكان هو الشقي الذي دعا إليه وطبقه فقال تعالى على لسان إبليس لعنه الله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾ [119:النساء]

قال الإمام القرطبي: "البتك القطع، ومنه سيف باتك، أي أحملهم على قطع آذان البحيرة والسائبة ونحوه"[82].

وروى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: "البحيرة التي يُمنع دَرُّها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء"[83].

وقال ابن الأثير "البحيرة: هي المشقوقة الأذن، وقيل: البحيرة كانوا إذا ولد لهم سقب(الذكر)، بَحَروا أذنه، وقالوا: اللهم إن عاش فقْنيّ، وإن مات فذكيّ، فإذا مات أكلوه"[84].

وقد أجمل المؤرخ (جواد علي) ما قيل في البحيرة فقال: "وقيل: البحيرة هي التي يمنع درّها للطواغيت، فلا يحتلبها أحد من الناس, قيل لها البحيرة؛ لأنهم بحروا أذنها، أي شقوها، وكان البحر علامة التخلية. وقال بعض العلماء: البحيرة هي ابنة السائبة, وقال بعض آخر: البحيرة من الإبل يحرم أهل الجاهلية وبرها وظهرها ولحمها ولبنها إلاّ على الرجال، فما ولدت من ذكر وأنثى، فهو على هيئتها, وإنْ ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها، وورد أن البحيرة من الإبل، كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن نحروا الخامس إنْ كان سقباً، وإنْ كان ربعة شقوا أذنها واستحيوها وهي بحيرة، وأما السقب فلا يأكل نساؤهم منه، وهو خالص لرجالهم، فإن ماتت الناقة فرجالهم ونساؤهم فيه سواء يأكلون منه، والمراد من "السقب" الذكر من ولد الناقة"[85].

ب- السائبة: وهذه من ابتداعات ابن لحي، ويلاحظ انه وسع دائرة التحريم فيها وجعل السائبة ليست فقط في الأنعام من البهائم, بل امتد ذلك إلى العبيد والأموال والزروع والثمار، قال ابن منظور:"والسائبةُ البعيرُ يُدْرِكُ نِتاجَ نِتاجِه فيُسَيَّبُ ولا يُرْكَب ولا يُحْمَلُ عليه، والسائبة التي في القرآن العزيز في قوله تعالى:﴿ما جَعَلَ اللّهُ منْ بَحِيرةٍ ولا سائبةٍ﴾[103: المائدة]. كان الرجلُ في الجاهلية إِذا قَدِمَ من سَفَرٍ بَعيدٍ

أو بَرِئَ من عِلَّةٍ أو نَجَّتْه دابَّةٌ من مَشَقَّةٍ أو حَرْبٍ قال: ناقَتِي سائبةٌ أي تُسَيَّبُ فلا يُنْتَفَعُ بظهرها ولا تُحَلَّأُ (تُمنع) عن ماءٍ ولا تُمْنَعُ من كَلإٍ ولا تُركَب، وقيل بل كان يَنْزِعُ من ظَهْرِها فقارةً أَو عَظْماً فتُعْرَفُ بذلك, فأُغِيرَ على رَجل من العرب فلم يَجِدْ دابَّةً يركبُها فرَكِب سائبةً فقيل أَتَرْكَبُ حَراماً ؟ فقال: يَركَبُ الحَرامَ مَنْ لا حَلالَ له، فذهَبَتْ مَثَلاً. وفي الصحاح السائبةُ: الناقةُ التي كانت تُسَيَّبُ في الجاهِلِيَّةِ لِنَذْرٍ ونحوه، وقد قيل هي أُمُّ البَحِيرَةِ، كانتِ الناقةُ إذا ولَدَتْ عَشْرَةَ أَبْطُنٍ كُلُّهنَّ إِناثٌ سُيِّبَتْ، فلم تُرْكَبْ ولم يَشْرَبْ لَبَنَها إلا ولَدُها أو الضَّيْفُ حتى تَمُوتَ، فإذا ماتتْ أَكَلَهَا الرجالُ والنساءُ جَميعاً، وبُحِرَتْ أُذن بِنْتِها الأَخيرةِ فتسمى البَحِيرةَ، وهي بمَنْزلةِ أُمِّها في أَنها سائبةٌ، والجمع سُيَّبٌ"[86].

وليست السائبة في الإبل فقط, بل في العبيد والأموال قال ابن منظور: "وكان الرَّجلُ إذا أَعْتَقَ عَبْداً وقال هو سائبةٌ فقد عَتَقَ، ولا يكون وَلاؤُه لِمُعْتِقِه، ويَضَعُ مالَه حيث شاءَ"[87].

وقال ابن سعيد الأندلسي: "وأما أهل المدر فكانوا إذا غرسوا أو حرثوا، خطّوا في وسط ذلك خطّاً، وقسموه بين اثنين، فقالوا: ما دون هذا الخط لآلهتهم، وما وراءه لله، وإن سقط مما جعلوه لله فيما جعلوه لآلهتهم أقروه، وإذا أرسلوا الماء في الذي لآلهتهم فانفتح في الذي سموه لله سدّوه، وإن انفتح من ذاك في هذا قالوا: اتركوه فإنه فقير إليه! فأنزل الله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ [الأنعام136][88].

وقال ابن الأثير عن تسييب الأموال: " فكان الرجل يسيب من ماله، فيجيء به إلى السدنة، فيدفعه إليهم، فيطعمون منها أبناء السبيل، إلا النساء. فلا يطعمونهم منه شيئا حتى يموت، فيأكله الرجال والنساء جميعا")[89].

وقال الماوردي في تفسير قوله عز وجل: " ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً﴾ [الأنعام:136] {مِمَّا ذَرَأَ} مما خلق، مأخوذ من الظهور، ومنه قيل ملح ذُرْ أي لبياضه، وقيل لظهور الشيب ذُرْأة، والحرث: الزرع، والأنعام: الإبل والبقر والغنم. وهذا إخبار منه عن كفار قريش ومن تابعهم من مشركي العرب، كانوا يجعلون لله في زروعهم ومواشيهم نصيباً، ولأوثانهم وأصنامهم نصيباً، فجعل الله أوثانهم شركاءهم؛ لأنهم قد أشركوهم في أموالهم بالنصيب الذي قد جعلوه فيها لهم، ونصيبهم في الزرع جزء منها يجعلونه مصروفاً في النفقة عليها وعلى خدامها، وفي نصيبهم من الأنعام ثلاثة أقاويل :أحدها: أنه كنصيبهم من الزرع مصروف في النفقة عليها وعلى خدامها، والثاني: أنه قربان لأوثانهم كانوا يتقربون به إليها، والثالث: أنه البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لشركائهم فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[الأنعام:136] فاختلف أهل التأويل في المراد بذلك على أربعة أوجه: أحدها: أنه كان إذا اختلط بأموالهم شيء مما جعلوه لأوثانهم، ردوه، وإذا اختلط بها ما جعلوه لله لم يردوه ,والثاني: أنه كان إذا هلك ما لأوثانهم غرموه، وإذا هلك ما لله لم يغرموه، والثالث: أنهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه لله في النفقة على أوثانهم، ولا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه لأوثانهم، قاله بعض المتأخرين، والرابع : أن كل شيء جعلوه لله من ذبائحهم لم يأكلوه حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم، ولا يذكرون اسم الله فيما جعلوه لأوثانهم"[90].

وقال ابن كثير: "إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثًا، أو كانت لهم ثمرة، جعلوا لله منه جزءًا وللوثن جزءًا، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان، حفظوه وأحصوه، وإن سقط منه شيء فيما سُمّي للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن فسقى شيئاً جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن، وإن سقط شيء من الحرث والثمرة الذي جعلوه لله، فاختلط بالذي جعلوه للوثن، قالوا: هذا فقير ولم يردوه إلى ما جعلوه

لله, وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله فسقى ما سُمّي للوثن تركوه للوثن"[91].

ج- الوَصيلَةُ: من ابتداعاته أيضا ما سماه بالوصيلة وهي: (الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن، ومن الشياه التي وصلت سبعة أبطن عناقين عناقين، فإن ولدت في السابقة عناقاً وجدياً قيل وصلت أخاها، فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة، أو هي الشاة خاصة كانت إذا ولدت الأنثى فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم وإن ولدت ذكراً و أنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ,أو هي شاة تلد ذكراً ثم أنثى فتصل أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها، وإذا ولدت ذكراً قالوا: هذا قربان لآلهتنا)[92].

وقال ابن الأثير:"[الوَصِيلة] هي الشاة إذا وَلَدَتْ سِتَّة أبْطُن أُنْثَيْنِ أُنْثَيين وولَدَت في السابعة ذَكراً وأنْثَى ,قالوا : وصَلَت أخاها فأحَلُّوا لَبَنَها لِلرِّجال وحرَّموه على النِّساء، وقيل: إن كان السابع ذَكَراً ذُبِحَ وأكل منه الرجالُ والنساء، وإن كانت أنثى تُركَتْ في الغَنَم، وإن كان ذكراً وأنْثَى قالوا: وَصَلت أخاها ولم تُذْبح، وكان لَبنُها حراما على النساء"[93].

د- الحـامي: الحَامِي الفحل من الإبل الذي طال مكثه عندهم ومنه قوله تعالى: ﴿ولا وصيلة ولا حام﴾ [المائدة:103] قال الفراء: "إذا لقح ولد ولده فقد حمى ظهره فلا يُركب ولا يُجز له وبر ولا يُمنع من مرعى"[94].

والحام: فحلُ الإبل يَضْرِبُ الضِّرابَ- المعدود، فإذا قضَى ضِرابَهُ، دَعُوه للطَّواغيت، وأَعْفَوْه من الحمل، فلم يُحْمَل عليه شيءٌ، وسمَّوْهُ الحاميَ[95].

وقال ابن الأندلسي: "كان الفحل إذا رِكِبَ أولاد أولاده، فصار ولده جداً، قالوا: أحمى ظهره، اتركوه! فلا يحمل عليه، ولا يركب، ولا يمنع ماء ولا مرعى فإذا ماتت هذه التي جعلوها لآلهتهم، اشترك في أكلها الرجال والنساء".

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:139])[96].

وقال الإمام الرازي:"وأما الحام فيقال:"حماه يحميه إذا حفظه وفيه وجوه: أحدها: الفحل إذا ركب ولد ولده, قيل: حمى ظهره أي حفظه عن الركوب فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى إلى أن يموت، فحينئذٍ تأكله الرجال والنساء، وثانيها: إذا نتجت الناقة عشرة أبطن قالوا حمت ظهرها، وثالثها: الحام هو الفحل الذي يضرب في الإبل عشر سنين فيخلى، وهو من الأنعام التي حرمت ظهورها"[97].

2- إبطال القرآن الكريم لشرائع عمرو بن لحي السابقة على الخصوص:

لقد بين الكتاب العزيز فساد التشريعات الباطلة التي جاء بها ابن لحي ومن جاء بعده من أرباب الأهواء، وقد استخدم القرآن أسلوب الإقناع العقلي في بيان سذاجة هذه التشريعات وبُعدها عن مصدر صحيح يوثق به أو ضرورة عقلية توجب الأخذ بها , وهذه آيات الكتاب العزيز تُسفِّه هذا التشريع وتُسقط تبعاته التي لا أصل لها، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَـذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144) قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾{145} (الأنعام)

وفي هذا يقول الإمام الماوردي في تفسير هذه الآيات: "أما الزوج فاسم ينطلق على الواحد وعلى الاثنين، يقال للاثنين زوج، ويقال للواحد زوج لأنه لا يكون زوجاً إلا ومعه آخر له مثل اسمه، فلذلك قال: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} لأنها ثمانية آحاد، ثم فسرها فقال:{مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ} يعني ذكراً وأنثى،{وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} يعني ذكراً

وأنـثى، {قُـلْ ءَآلـذَّكَرَيْنِ حَـرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ} إبطـالاً لمـا حرمتـه الجاهليـة منهـا في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحـام {أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ} يعني قولهم: {مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَرْحَامِ خالصةً لِّذُكُورِنَا وَمُحَـرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَـا} ,ثم قـال تعـالى: {وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ} يريد به مـا أراده في الضـأن والمعـز، وأن هـذه الثمانيـة أزواج حلال لا يحـرم منهـا شـيء بتحريمكم"[98].

ويقول سبحانه وتعالى مبينـا حـال اليهود من قبل ومـا حـرم عليهم ومـا حـرم على هذه الأمة لإنقاذهـا من جاهليتهـا الـتي قـال فيهـا ابن عبـاس رضـي اللـه عنـه (إذا سرك أن تعلم جهل العرب فـاقرأ مـا فـوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام {قد خسـر الذين قتلـوا أولادهم سـفها بغـير علم} إلى قوله {قد ضلوا وما كانوا مهتدين)."[99].

فقـال سـبحانه:﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَـادُواْ حَرَّمْنَـا كُـلَّ ذِي ظُفُـرٍ وَمِنَ الْبَقَـرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَـا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَـا أَوِ الْحَوَايَـا أَوْ مَـا اخْتَلَـطَ بِعَظْمٍ ذَلِـكَ جَزَيْنَـاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَـادِقُونَ{146} فَـإِن كَـذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَـةٍ وَاسِـعَةٍ وَلاَ يُـرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ{147} سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَـا مِن شَـيْءٍ كَـذَلِكَ كَـذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَـلْ عِنـدَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَـا إِن تَتَّبِعُـونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُـونَ{148} قُـلْ فَلِلّـهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ{149} قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَـرَّمَ هَـذَا فَـإِن شَـهِدُواْ فَلاَ تَشْـهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِـعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَـذَّبُواْ بِآيَاتِنَـا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بِـالآخِرَةِ وَهُم بِـرَبِّهِمْ يَعْـدِلُونَ{150} قُـلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْـرِكُواْ بِـهِ شَـيْئاً وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـاناً وَلاَ تَقْتُلُـواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَـرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{151} وَلاَ تَقْرَبُواْ مَـالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ حَتَّى يَبْلُـغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُـواْ الْكَيْـلَ وَالْمِـيزَانَ بِالْقِسْـطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسـاً إِلاَّ وُسْـعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْـدِلُواْ وَلَوْ كَـانَ ذَا قُـرْبَى وَبِعَهْـدِ اللّـهِ أَوْفُـواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ{152} وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُمْ عَن سَـبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّـاكُم بِـهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾{153}(الأنعام).

إن هذا البيان الرباني يعبر عن تهافت الشرائع الفاسـدة الـتي جـاء بهـا عمـرو بن لحي وفقـــدانها لأدنى قواعـــد العقـــل والمصلحة الـتي يمكن القبـول بهـا، فبطـل هذا التشريع، ورفع اللـه تعـالى الحـرج عن هـذه الأمـة في إباحـة هـذه المحرمـات المفتراة، المخالفة لملة إبـراهيم الحنيفيـة، وهي التي جاء بهـا النـبي الخـاتم محمـد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

4- قتل الأولاد ووأد البنات

يبدو أن هذه الشرعة الظالمة قد بدأها عمرو بن لحي أو أمر بها، ويؤيد ذلك حديث ابن عبـاس رضـي اللـه عنـه السـابق، في إشارته إلى جهل العـرب،فهـو يشـمل ذلـك والآيـات الـتي أشـار إليهـا، والـتي ذكـرت شـرائع ابن لحي في سـورة الأنعـام، تـدل على أن هذا السلوك الإجـرامي بـدأ مبكـرا تبعـا للأصـل الـذي انبنت عليـه ممارسـات الجاهليـــة، فكلهـــا ترجـــع في الأصـــل إلى انحرافات ابن لحي التي فتحت البـاب على مصراعيه لكل أنـواع الجـرائم المستسـاغة تبعا للأهواء المتجددة في عقليـة الجـاهليين العرب، وهذا يعضده واقع العـالم المعاصـر الـذي لعبت بـه الأهـواء حـتى انحـدر إلى الهاوية المنظورة الآن.

قال تعالى عن هذه الشرعة الظالمة: ﴿وَكَـذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِـيرٍ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ قَتْـلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَـا فَعَلُـوهُ فَـذَرْهُمْ وَمَـا يَفْتَرُونَ﴾ [137:الأنعام] وقـال تعـالى: ﴿قَـدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَـفَهًا بِغَيْـرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَـدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [140:الأنعام].

يقول ابن عاشور في هذه الآية:" أنّ مزيِّنـا زَيَّن لكثـير من المشـركين أن يَقْتُـلَ شـــركاؤُهم أولادَهم، فإســـناد القتـــل إلى الشّـركاء على طريقـة المجـاز العقلي إمّـا لأنّ الشّـركاء سـبب القتـل إذا كـان القتـل قُرباناً للأصنام، وإمَّا لأنّ الّذين شـرعوا لهم القتـل هم القـائمون بديانـة الشّـرك مثـل عمرو بن لُحي ومن بعده، وإذا كـان المـراد بالقتل الوأدَ، فالشركاء سببَ وإن كان الوأد

قُرباناً للأصنام وإن لم يكن قرباناً لهم (وهو المعـروف) فالشـركاء سـبب السـبب؛ لأنـه من شرائع الشرك"[100].

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـانًا وَلَا تَقْتُلُـوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:151]

وقال تعالى:﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَـرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَـانَ خِطْءاً كَبِيراً﴾ [الإسراء:31] وقـال تعـالى : ﴿وَيَجْعَلُـونَ لِلَّهِ الْبَنَـاتِ سُـبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَـا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُـوَ كَظِيمٌ (58) يَتَـوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَـا بُشِّـرَ بِـهِ أَيُمْسِـكُهُ عَلَى هُـونٍ أَمْ يَدُسُّـهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَـاءَ مَـا يَحْكُمُونَ (59)﴾ [النحل]

قـال ابن كثـير: "وذلك أنهم كـانوا يقتلون أولادهم كما سَوَّلت لهم الشـياطين ذلـك، فكـانوا يئـدون البنـات خَشْيَة العـار، وربما قتلـوا بعض الـذكور خيفـةَ الافتقـار؛ ولهذا جـاء في الصـحيحين، من حـديث عبد الله بن مسـعود، رضي الله عنـه، قلت: يا رسـول اللـه، أي الـذنب أعظم؟ قـال: "أن تجعل لله نـدّا وهو خلَقَـكَ". قلت: ثم أيّ؟ قـال: "أن تقتل ولـدك خشـية أن يَطْعَم معك". قلت: ثم أيّ؟ قال: "أن تُزَاني حليلة جـارك". ثم تلا رسـول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُـونَ النَّفْسَ الَّتِي حَـرَّمَ اللَّهُ إِلا بِـالْحَقِّ وَلا يَزْنُـونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:68][101].

5-النسيء: ومعنـاه (التـأخيرُ فيؤَخِّرونـه في كل سنة أحدَ عشرَ يوماً، فـإذا وقـع في عـدَّة أيَّام من ذي الحجـة جعلـوه في العـام المُقبِـل لزيـادة أحـدَ عشـرَ يومـاً من ذي الحجـة، ثمَّ على تلك الأيَّام يفعلـون كـذلك في أيَّام السـنة كلِّهـا، وكـانوا يُحرِّمـون الشهرينِ اللَّذيْن يقـع فيهمـا الحجُّ والشـهرُ الـذي بعـدَهما ليُواطِئُوا في النَّسـيءِ بـذلك عدَّة مـا حـرَّمَ اللـه، وكـانوا يحرِّمـون رَجَبـاً كيف وقـعَ الأمـرُ فيكـون في السـنة أربعـة أشهُر حُرمٌ)[102].

وهناك خلاف بين العلماء في من أول من فعـل هـذا فبعض المفسـرين يـرى أنـه عمـرو بن لحي كمـا روي عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهمـا قـال: "إن أول من سن النسـيء عمـرو بن لحي بن قمعـة ابن خندف"[103].

ونقل ابن كثير عن ابن إسحاق قولا آخر واستحسـنه حيث قـال: "كـان أول من نسـأ الشـهور على العـرب فأحـل منهـا مـا حرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجـل, القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عـدي بن عامر بن ثعلبة بن الحـارث بن مالـك بن كنانـة بن خزيمـة بن مدركـة بن إليـاس بن مضر بن نزار بن معـد ابن عـدنان، ثم قـام بعده على ذلك ابنـه عبـاد ثم من بعـد عبـاد ابنه قلـع بن عبـاد ثم ابنـه أميـة بن قلـع ثم ابنه عوف ابن أمية ثم ابنه أبو ثمامة جنـادة بن عوف، وكان آخرهم وعليه قام الإسـلام، فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليـه فقـام فيهم خطيبـا فحـرم رجبـا وذا القعـدة وذا الحجـة، ويحـل المُحَّرم عامـاً ويجعل مكانه صفرا، ويحرمه ليواطىء عدة مـا حـرم اللـه فيحـل مـا حـرم اللـه، يعـني ويحرم ما أحل الله والله أعلم"[104].

ولإزالة هذا التعارض أقول: إنه لا يمنع أنْ يكون أول من سنّه كما قال ابن عبـاس عمـرو بن لحي، وأن العـرب فيمـا بعـد قـد زادت صوراً من النسيء على يد الأشخاص الـذين ذكـرهم ابن إسـحاق، وأن القاعـدة العامة التي صدر عنها كل انحراف فيما بعد كـانت تغيـير ملـة إبـراهيم الحنيفيـة, حيث بـدأت في أصـل التوحيـد ونشـر عبـادة الأصـنام, ثم توسـعت الـدائرة لتنـال كـل شـيء في حيـاة العـرب، وقـد جـاء هـذا الانحراف الجديـد ليوافـق أهـواء الجـاهليين في استباحة الدماء والتحلل من الكثـير من الضوابط الأخلاقية السامية التي جاءت بهـا الملـة الإبراهيميـة في صـيانة الحجيج من القتـل والاعتـداء, وهم في طـريقهم للـبيت الحـرام الـذي جعلـه اللـه مكانـا للأمن لمن أقام فيه ولمن قدم إليه من كل مكان.

أما صورة الإنساء كما رواها الأزرقي: "والـذي ينسـأ لهم إذا أرادوا أن لا يحلـوا المحـرم قـام بفنـاء الكعبـة يـوم الصـدر، فقـال : أيهـا النـاس، لا تحلـوا حرمـاتكم، وعظموا شعائركم، فـإني أجـاب ولا أعـاب، ولا يعـاب لقـول قلتـه. فهنالـك يحرمـون المحرم ذلـك العـام , وكـان أهـل الجاهليـة يسمون المحرم صفرا الأول، وصفرا صفرا الآخـر، فيقولـون: صـفران، وشـهرا ربيـع،

وجماديـــــان، ورجب، وشــــعبان، وشـــــهر رمضـــــان، وشـــــوال، وذو القعــــدة، وذو الحجة ...[105].

6-اعتبار الطواف حولها من تمـام مناسك الحج: فقـــد ربطهم عمـــرو بن لحي ومن جـــاء بعـــده بـــالوقوف عنـــدها، والتحلـل من الحج عنـدها، وبـذلك أدخلوهـا في مناسك الحج، وهذا منهج عميق الدلالـة في حـــرفهم عن الملــة الحنيفيــة قــال ابن الكلبي:"وكانوا يحجون فيقفـون مـع النـاس المواقف كلهـا ولا يحلقـون رؤوسـهم، فـإذا نفرو أتوه(أي مناة) فحلقوا رؤوسهم عنـده، وأقــاموا عنــده، لا يــرون لحجهم تمامــاً إلا بذلك"[106].

7-الذبح عندها والإهداء إليها: وهذه من المناســـك الـــتي يتقربـــون بهـــا إلى أصــنامهم, فقــد روى أبــو داوود في ســننه نهي النبي صلى الله عليـه وسـلم عن ذلـك

---

1) الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي 170ﮪ/786م)**، العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد، 1985م،ج1،ص 39.

2) سلمة بن مسلم الصحاري (ت511ﮪ/)، **الأنساب**، ج1، ص 191.

3) أحمد بن عبد الله القلقشندى (ت 821ﮪ/ 1418م)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، الكويت، مطبعة حكومة الكويت،1985م (ط2)، ج1، ص95.

4) محمد بن إسماعيل البخاري(ت256ﮪ /870م)، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب ، باب قصة خزاعة، حديث رقم (3335) ومسلم بن حجاج النيسابوري (ت261ﮪ /875م)، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1374ﮪ، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، حديث رقم (2856).

5) سليمان بن موسى الكلاعي (ت 364ﮪ)، **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، تحقيق د. محمد كمال الدين، بيروت، عالم الكتب، 1417ﮪ (ط1)، ج1، ص43 وانظر شهاب الدين ابن حجر العسقلاني(ت852ﮪ/1448م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار المعرفة،1379ﮪ(ط2)، ج20، ص84 ، وانظر عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808ﮪ/1406م)، **تاريخ ابن خلدون** ،ج3، ص 395.

6) **البخاري**، كتاب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم 2581.

7) زكريا بن محمد القزويني (ت 682/1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، ج1، ص27 .

8) جواد علي (ت 1408ﮪ/1987م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بغداد، دار الساقي، 1422ﮪ/2001م(ط4)، ج6، ص77.

9) مجموعة علماء، **الموسوعة العربية الميسرة**، بيروت، دار نهضة لبنان، 1406ﮪ /1986م، ج2، ص1061.

10) حسن إبراهيم (معاصر)، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1964م(ط7)، ج1،ص45.

11) المطهر بن طاهر المقدسي (ت 507م)، **البدء والتاريخ**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ج 1/ص173.

12) عبد الرحمن بن حمد المغيري (ت 1364ﮪ)، **المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب** ،ص.

13) **البخاري**، كتاب فضائل الصحابة، باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 1398 .

14) محمد بن سعد بن منيع(ت230ﮪ/785م)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1410ﮪ/1990م(ط1)، ج1،ص68.

15) حسن ابراهيم، **تاريخ الاسلام**،ج1، ص45.

16) مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (ت 606ﮪ)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط،، بيروت،دار الفكر،1403ﮪ/1983م(ط2)، ج12، ص736م.

17) أحمد بن علي أبي يعلي الموصلي (ت307ﮪ/920م)، **مسند أبو يعلي**، تحقيق حسين سليم اسد، دمشق، دار المأمون للتراث، 1404ﮪ/ 1984م(ط1)، أحاديث أبو هريرة رقم 6121، قال المحقق حسين سليم: إسناده حسن، وانظر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر(ت463ﮪ/)، **الاستيعاب في معرفة الاصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دارالجليل،1412ﮪ(ط1)،ج1،ص44.

لما كانوا يفعلونـه في الجاهليـة، فعن ثـابت بن الضـحاك قـال: "نـذر رجـل على عهـد النبي ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة (بوانة هي هضبة من وراء ينبع قريبة من ساحل البحر) فأتى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: إني نـذرت أن أنحـر إبلا ببوانـة، فقـال النـبي ﷺ: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ " قـالوا: لا، قـال: "هـل كـان فيهـا عيـد من أعيــادهم؟" قــالوا: لا، قــال النــبي ﷺ: أوف بنذرك" فإنه لا وفاء لنذر في معصـية اللـه، ولا فيما لا يملك ابن آدم"[107].

وقــال ابن الكلــبي عن صــنم منــاة:"وكــانوا يعظمونــه ويــذبحون عنــده ويهدون إليه وخاصة الأوس والخزرج"[108].

وكان(الحارث بن شمر الغساني ملك غسان قد أهدى إليها سيفان أي (مناة)[109].

وكانوا يهدون للعزى(وكان عندها منحر عظيم يقال له الغبغب, وفي هذا يقول زيــد بن عمــــرو بن نفيـــل أحــــد الحنفـــاء المشهورون:

تركت اللات والعزى جميعا

---

18) علي بن محمد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير(ت630ه/1233م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق محمد البنا ومحمد عاشور ومحمود فايد، بيروت، دار احياء التراث العربي، 1417ه/1996م(ط1) ج1، ص69، وانظراحمد بن علي بن حجر أبا الفضل العسقلاني (ت852ه/)، **الاصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق علي البجاوي، بيروت، دار الجليل، 1412ه/1992م(ط1)، ج1،ص106.

19) محمد بن عبد الله الازرقي (520ه/865م)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار**.

20) سهل بن محمد السجستاني(ت248ه862م)، **المعمرون والوصايا** تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة،1961م.

21) **البخاري**، كتاب المساقاة والزرع، باب من رأى أنه صاحب الحوض والقربة احق بمائه ، حديث رقم 2239، وانظر حديث هاجر الطويل في البخاري كتاب الأنبياء، باب يزفون /الصافات حديث رقم 3148.

22) إبن خلدون، **تاريخ ابن خلدون،ج3، ص395**.

23) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**،ج1،ص6711.

24) عبد الملك بن هشام المعافري (213ه/828م)، **السيرة النبوية**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد،شركة الطباعة الفنية المتحدة، ج1،ص82/83.

25) عبد الرحمن بن محمد أبو زيد الثعالبي (ت876ه/1471م)، **الجواهر الحسان في تفسير القران**، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج3،ص404.

26) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج1، ص304.

27) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت728ه/1328م)، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق د. ناصر العقل، بيروت، عالم الكتب، 1419ه/ 1999م (ط7)، ج1،ص351.

28) هشام بن محمد بن السائب الكلبي**،الاصنام**، تحقيق أحمد زكي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ص6.

29) الأزرقي**، أخبار مكة**،ج1،ص138.

30) سليمان أحمد ابو القاسم الطبراني (ت360ه/971م) **المعجم الاوسط**،تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، القاهرة،دار الحرمين، 1415ه،حديث رقم 6350، وقال ابن حجر الهيثمي **في مجمع الزوائد**، وفيه خالد بن يزيد وهو كذاب،انظر مجمع الزوائد حديث رقم 5763 و5764 حرره العراقي وابن حجر.

31) **البخاري**، كتاب المناقب،باب قصة خزاعة حديث رقم 3339 وكتاب التفسير،باب تفسير سورة المائدة،حديث رقم 4347، **ومسلم**،كتاب الجنة ونعيمها، باب النار يدخلها الجبارون حديث رقم 2856.

32) أحمد بن محمد بن حنبل (ت241ه/855م)**فضائل الصحابة**،تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، بيروت، دار الرسالة، 1403ه/1983م(ط1)، حديث رقم 1524.

33) **البخاري**،كتاب التفسير، باب سورة نوح، حديث رقم 4636.

34) الأزرقي، **أخبار مكة**،ج1،ص62 .

35) أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت840ه/ 1436م)،**إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة،الرياض**، دار الوطن، 1420ه/1999م(ط1)،حديث رقم 2566و رواه أبو يعلى الموصلي وأحمد بن حنبل مختصرًا والنسائي في الكبرى بسند رجاله ثقات.

كـذلك يفعـل الجلـد الصبـور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولا صنمي بني غنم أزور
ولا هبلا أزور وكان ربا
لنا في الدهر إذ حلمي صغير!![110].

وعندما جاء الإسلام نهى النبي عن العتيرة التي كانوا يذبحونها عند الأصنام فقال: (لا فرع ولا عتيرة), قال والفرع أول نتاج كان ينتج (أول مولود من إبلهم أو أغنامهم) لهم كانوا يذبحونه لطواغيتهم والعتيرة في رجب)[111].

هكذا تبدو لنا صورة العناء الكبير الذي أحدثته انحرافات عمرو بن لحي في ميدان الاعتقاد والتشريع، في حياة العرب الجاهلية، وهكذا تبدو لنا معاناة العالم المعاصر عندما تسوده تجارب البشر القاصرة، عندما توارت العقائد الصحيحة، وسادت شرائع الإنسان الغربي بعجزه وقصوره، وأصبحت هذه الشرائع القاصرة تكتوي بنارها البشرية جمعاء، في صورة

---

36) قال عنه الإمام الذهبي : العلامة الإخباري النسابة، شيعي احد المتروكين، قال عنه الإمام احمد : كان صاحب سمر ونسب، ماظننت أن أحدا يُحدِّث عنه. وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة/إخباري نسابة . مات سنة 206هـ انظر شمس الدين أبا عبد الله محمد بن احمد الذهبي **(ت 748هـ/ 1347م)، سير أعلام النبلاء**،تحقيق مجموعة محققين، بيروت، دار الرسالة، ج10، ص101-102.

37) الكلبي، **الأصنام**، ص8.

38) ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ/ 1229م)، **معجم البلدان**،بيروت، دار الفكر، ج11، ص339.

39) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج1، ص60، وانظر **البداية والنهاية**، ج2، ص237.

40) هبة الله محمد بن نما الحلي المعروف بأبي البقاء (ت في القرن السادس)،**المناقب الزيدية في أخبار الملوك الأسدية،** تحقيق د. محمد خريسات ود. صالح درادكة، العين، الامارات، مركز زايد للتراث والتاريخ، 1420هـ/ 2000م(ط1)، ج1،ص80.

41) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، **مجدد ملة عمرو بن لحي**، ص81.

42) ابن الكلبي، **الأصنام**، ص54، وانظر محمد بن إسحاق الفاكهي (ت بعد 272هـ/ 885م)،**أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق د. عبد الملك بن دهيش،بيروت، دار خضر،1414هـ/1994(ط2)، ج5،ص161 – قال ابن حجر : وعمر بن ربيعة هو عمرو بن لحي،فتح الباري،ج8، ص668.

43) محمد بن حبيب البغدادي (ت245هـ/859م)، **المنمق في اخبار قريش**،تحقيق خورشيد أحمد فاروق، بيروت، عالم الكتب، تصوير طبيعة حيدر آباد، ج1، ص327.

44) محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ/ 1973م)، **التحرير والتنوير**، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م، ج15، ص344.

45) محمد يعقوب أبو طاهر الفيروز آبادي (ت 817هـ/ 1415م)، **القاموس المحيط**، ج7، ص 26 وانظر ابن كثير السيرة، ج1، ص221.

46) محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت711هـ/ 1311م)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، (ط1)، ج13، ص362.

47) صديق بن حسن القنوجي (ت 1307هـ/1890م)، **ابجد العلوم الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم**، تحقيق عبد الجبار زكار، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م، ج2، ص 453.

48) **البخاري**، كتاب التفسير، باب سورة الحجر، حديث رقم 4424.

49) **مسلم**، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، حديث رقم 2229 .

50) مسلم، كتاب التوبة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، حديث رقم 2865.

51) عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ/ 1149م)، **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**، ج 2،ص24.

52) الكلبي، **الاصنام**، ص54.

53) اسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء (ت 774هـ**)، تفسير القران العظيم**، تحقيق سامي سلامة، السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ/ 1999م(ط2)، ج4،ص36.

54) الأندلسي، **نشوة الطرب في جاهلية العرب** ج1-ص212-213.

55) الاندلسي، **نشوة الطرب في جاهلية العرب** ج1-ص212-213.

مؤلمة حزينة أصابت بنارها الجميع، العالم كله والعالم الإسلامي صاحب الشريعة التي قضت على شرائع ابن لحي القديمة، ونحن بالأمل الكبير، لعودة هذه الشريعة السمحة، لتنير لهذا الكون نور الحق الذي سطع ببعثة النبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ.

الخاتمة وأهم النتائج:

1-إن عمرو بن لحي هو أبو خزاعة، وأشهر رجالاتها على الإطلاق في الجاهلية وإن هذه الشخصية كانت علامة فارقة في نشر الوثنية بين العرب وتغيير ملة إبراهيم عليه السلام .

2-إن الزمن التقريبي الذي عاشه عمرو بن لحي يبدأ من نهاية القرن الأول الميلادي إلى نهاية القرن الثاني الميلادي .

---

56) المسعودي، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346ﻫ)، **مروج الذهب وعادن الجوهر**، ج1،192
57) ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري – السيرة النبوية، ج1،ص249.
58) انظر حول الحنفاء بحوث د. محمد الملكاوي ومنها، المعنى اللغوي والاصطلاحي للحنيفية، المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية،عدد رقم 2 مجلد 5، وبحثه الآخر أمية بن الصلت الثقفي شخصبته وعقيدته وعلاقته بأهل الكتاب، نفس المجلة مجلد 4 عدد3، وانظر الدكتور عويد المطرفي، ورقة بن نوفل**.**
59) مسلم، **الصحيح**، ك الحج، باب التلبية وصفتها، ح 2872،وابن الأثير، جامع الأصول،ج 10،ص394.
60) ابن كثير، **السيرة النبوية**،ج1،ص114.
61) ابن كثير، **التفسير**،ج1،ص445.
62) ابن الأثير، **جامع الأصول**،ج10،ص394
63) **البخاري،** كتاب الحج، باب من كبر في نواحي الكعبة، حديث رقم 1524.
64) **البخاري**، كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان حديث رقم 2346 **ومسلم،** كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، حديث رقم 1781.
65) الكلبي، **الاصنام،** ص13.
66) الكلبي،**الاصنام**، ص18.
67) الكلبي،**الأصنام،**ص16.
68) **البخاري،** كتاب التفسير، باب تفسير النجم، حديث رقم 4578.
69) الازرقي، **أخبار اهل مكة**، ج1، 97.
70) **الأصنام، 18.**
71) **الاصنام،ص27.**
72) **الاصنام،ص27.**
73) **الاصنام**، ص30..
74) **الاصنام**، ص 28 بتصرف.
75) **الاصنام**، ص33.
76) الاصنام، ص37.
77) **البخاري**،كتاب المناقب،باب قصة زمزم وجهل العرب،حديث رقم 3334.
78) البيهقي احمد بن حسين بن علي(ت456ﻫ/ 1066م**)، سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق محمد عطا، مكة المكرمة،1414ﻫ/1994،كتاب القاضي، باب ما يقضي به القاضي، حديث رقم 20137.
79) **البخاري**، كتاب أبواب العمل في الصلاة، باب في البصاق والنفخ في الصلاة، حديث رقم 1154ومسلم، كتاب الكسوف، باب ذكر النداء لصلاة الكسوف، حديث رقم 901.
80) **الفيروز آبادي**، القاموس المحيط، ج1، ص442.
81) علي بن موسى ابن سعيد المغربي (ت 685ﻫ/1286م)، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، عان، مكتبة الأقصى، ج2،ص795.
82) محمد بن احمد شمس الدين القرطبي (ت 671ﻫ/ 1273م)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق هشام سمير بخاري، الرياض، دار عالم الكتب، 1423ﻫ/2003م)، ج5، ص389.
83) البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة وزمزم، حديث رقم 3333.

3-إن نقـل عبـادة الأصـنام من الشـام كـان بالتأثر بالوثنين من العمـاليق، وليس بسـبب النصارى كما رجح ذلك بعض الباحثين.
4-إن مكة المكرمة تسمى النساسة، أي إنهـا تخرج كل من ظلم وبغا فيها, فقـد أخـرجت العماليق ثم جرهم ثم خزاعة ثم أهلـك اللـه أصحاب الفيل بقيادة أبرهة الحبشي.
5-إن عمــرو بن لحي اسـتخدم سـلطانه في الدعوة لعبادة الأصنام وتوزيعها على معظم قبائل العرب.
6-ليس صحيحا أن هـذه الانحرافـات العقديـة والتشريعية كانت موجودة بمكة قبل إحداث عمــرو بن لحي، خلافـا لأقـوال ابن الكلـبي التي ذكرها في كتاب الأصنام.
7-أن عمرو ابتدع هذا الأمر تشبها بوثنية أهـل الشام من العماليق، وإغواء رَئِيِّه من الجـان الذي دله على أصنام قوم نوح.
8-لم تقـف القبائـل العربيـة عنـد إبتـداعات عمرو بن لحي بل زادت فيها زيادات كثـيرة إلى أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم.
9-إن الكهانة في هذا العصر كان لها دور هـام في صـنع كثـير من الأحـداث الهامـة، وقـد انقطعت قـدرة الكهـان على جلب معلومـة موثقة بعد البعثة النبوية المشرفة.

---

(84) ابن الاثير، **جامع الاصول**،**ج2، ص126، حديث رقم 609.**
(85) **جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج12، ص186.**
(86) **ابن منظور، لسان العرب، مادة سيب، ج1، ص477.**
(87) **ابن منظور، لسان العرب، مادة سيب، ج1، ص477.**
(89) ابن الأثير، جامع الأصول، ج2، ص126.
(90) علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت450ه/ 1058)،**النكت والعيون**، تحقيق السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، ص446.
(91) **تفسير ابن كثير**، ج3، ص344.
(92) الحسن بن عبد الله العسكري (ت395ه/1005م)، **معجم الفروق اللغوية**، ج1، ص92.
(93) ابن الأثير، **غريب الحديث**، ج4، ص286.
(94) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت666ه/ 1268م)، **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1415ه/ 1995م، ج1، ص167.
(95) ابن الأثير، **جامع الأصول**، ج2، ص126.
(96) المغربي، **نشوة الطرب**، ج2، ص796.
(97) فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت606ه/1210م)، **مفاتيح الغيب**،تحقيق محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش،بيروت، دار الكتب العلمية،1421ه/ 2000م(ط1)،ج6،ص 177.
(98) **النكت والعيون** - (1 / 452).
(99) سبق تخريجه انظر هامش رقم77.
(100) ابن عاشور، **التحرير**،ج9،ص156.
(101) **ابن كثير3**\361والحديث رواه **البخاري** ك التفسير –باب سورة البقرة رقم 4207و**مسلم** ك الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب رقم 86.
(102) محمد بن محمد الزبيدي-**تاج العروس من جواهر القاموس**-ج1،ص236 مادة نزأ
(103) **الحسين بن مسعود البغوي(ت510ه/1117م)، معالم التنزيل، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417ه/1997م(ط4)، ج4،ص47.**
(104) **تفسير ابن كثير**، جزء 2، صفحة 469.
(105) **أخبار مكة للأزرقي 1/232.**
(106) **الاصنام**، ص14.
(107) عبد الله بن سليمان السجستاني (ت316ه/929م)، **سنن ابي داود،** بيروت، دار صادر، كتاب الايمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذور، حديث رقم 3313. قال الشيخ الألباني: صحيح.
(108) **الاصنام**، ص13.
(109) **الاصنام**، ص15.
(110) **الاصنام**،22.
(111) **البخاري**، كتاب العقيقة، باب العنيزة، حديث رقم 5157**، مسلم**، كتاب الاضاحي، باب الفرع والعنيرة، حديث رقم 5231.

10-إن عمرو بن لحي من مكره بالعرب اتبـع سياسة تنويع مسـميات الأصـنام وتاريخهـا ليتعصـبوا لهـا وتكـون عنوانـا من عنـاوين تمايزهم عن غيرهم من القبائل.
11-إن منهج عمــرو بن لحي اشــتمل على جانبين هامين وهمـا الجـانب الاعتقـادي والجانب التشريعي الهـدام الـذي ضـيق على الناس حياتهم.
12-لقد أفرد القران الكريم مسـاحة كبـيرة لبيــان بطلان هــذه العقائــد والشــرائع والـتي خلص منهـا العــرب ورفـع اللــه تعالى عن البشرية الإصر والأغلال الـتي كانت تقيده.

ملحق موجز للتعريف ببعض القبائل والأماكن

رهاط : بضم أوله وآخره ، موضع على ثلاث ليال من مكة من جهة اليمن، وقال قوم: رهاط في بلاد هذيل [112]

دومة الجندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طي، كانت به بنو كنانة من كلب، وهي أذرح الآن جهة معان بالأردن [113].

خيوان : بلدة قريبة من صنعاء باليمن [114].

بلخع : بلدة من أرض سبأ (وهي موضع باليمن [115].

قضاعة: قبيلة مختلف في انتسابها فقوم قالوا: هو قضاعة بن معد بن عدنان، وقوم قالوا قضاعة بن مالك ابن حميد [116].

همذان: قبيلة يمنية[117].

مضر بن نزار بن معد بن عدنان كزفر، وقال ابن سيده: مضر اسم رجل قيل سُميَّ به لأنه كان مولعا يشرب اللبن الماضر وهو مضر بن نزار بن معد بن عدنان واليه ينتسب المضريون [118].

مذحج: أبو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن يحاير بن ماللك، وإليه تنتمي قبيلة مذحج [119].

حمير: خلق كثير وجم عفير ،تقادم بهم الزمان، وزادوا على العد والحساب وأكثرهم من ولد سبأ [120].

تهامة: أرض واسعة تمتد على ساحل القلزم (البحر الحمر) وبه كثير من المدن والخصب، وقال الحموي: (يمتد من اليمن وهو ما أصحر إلى حد باديتها ومكة من تهامة، وقيل سميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها) [121].

الهوامش

112) **معجم البلدان**، ج2 ص371.
113) **معجم البلدان**، ج 2 ص 253.
114) **المفصل في تاريخ العرب**، ج12 ص181.
115) ابن،حزم،**جمهرة انساب العرب**، 311 .
116) آثار البلاد وأخبار العباد 19711.
117) **لسان العرب** ج15 ص177 .
118) **لسان العرب** ج 2ص364.
119) التعريف بالأنساب و التنويه بالأحساب ج1ص68.
120) **معجم البلدان** ج13ص289.
121) **معجم البلدان** ج13ص289.